

الدكتور عبد الرحمن علي البحجي

نظرات

في دراسة التاريخ الإسلامي

طبعة ثالثة منقحة

مكتبة الصحوة

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

نَظَرَاتٌ

في دراسة التاريخ الإسلامي

نظرات

في دراسة التاريخ الإسلامي

طبعة ثالثة منقحة

الدكتور عبد الرحمن علي الحجّي

مكتبة الصحوة

الطبعة الثالثة
١٣٩٩ هـ - ١٩٧٩ م

مقوق الطبع محفوظة

مكتبة الصحوة

النقرة - شارع بيروت - عمارة الزاحم - مقابل السنترال الجديد

ت : ٢٦١١٠٠٦ - ص.ب : ٣١٢٢ الرمز 32032

الفهرس

٧	الإهداء
٩	مقدمة
١٣	منابع دراستنا للتاريخ الاسلامي
١٧	مخطط الدرس على التاريخ الاسلامي
١٧	طبيعته وهيكله
١٨	مثال توضيحي
٢٥	وسائل الاعداء :
٢٥	التشويه
٢٦	التجهيل
٢٩	التشكيك
٤٧	التجزيء
٤٨	الإهمال
٥٥	مفتريات شاملة :
٥٥	دافع الفضيحة
٦١	التفسير المادي
٧٢	انتشار الاسلام بالسيف
٧٥	التفسير القومي

٨٥	كلمة عامة
٩٥	مقترحات
١١٧	المصادر
١٢٣	للمؤلف



الله يدرك

إلى التي أحسنت صُحْبَتِي

وَتَبَذَلُ جُهِدَهَا فِي مُعَاوَنَتِي

وَفَاءً وَتَقْدِيرًا . . .

إلى زوجتي

مقدمة

لا أريد في هذا البحث أن أذكر نقاطاً معينة من التاريخ الاسلامي ثم أناقشها فأصححها أو أخطئها ، كما لا أريد أن أجعل من تاريخنا متتهماً موضوعاً في القفص دائماً أكون محاميه الذي يتولى عنه الدفاع ؛ وإن كان هذا وذاك سيكون جزءاً من البحث يشار إليه في مناسبته .

ولكنني أردت أن ألقى نظرة عامة على الخطوط العريضة الأساسية للتاريخ الاسلامي ، وعلى طريقة تدريسه الحالية ونتائجها ، وعلى الأسباب التي دفعت إلى ذلك ، محاولاً إلقاء بعض الضوء على الطريقة التي يجب أن تدرسه بها وأهمية ذلك ونتائجها ، علماً بأن هذه الملاحظات أو النظرات عامة وليس من الضروري أن تكون كلها مرتبطة ببلد واحد أو بحالة واحدة .
إنني سوف أتناول هذه الأمور على أساس أن التاريخ الاسلامي جزء من الاسلام ككل وغير منفصل عنه . وفي يقيني أن أي فصل للتاريخ الاسلامي عن الاسلام ، ودراسته تفاريق واجزاء ، وعلى شكل أشلاء لكائنات مات وغدا في ذمة التاريخ ؛ إن مثل هذا

العمل يعتبر جهلاً بالاسلام وتاريخه وهو إساءة بالغة إليهما ؛
وليس مهملًا بعد ذلك أن يكون مقصوداً ، أو غير مقصود .

وربما ليس من السهولة جمع كافة أطراف موضوع
مثل موضوعنا الحالي في محاولة كهذه . إنه موضوع متنوع
الجوانب ، متعدد المسارب ، وعملنا على كل حال محاولة وبداية
أمل أن تكون ناجحة .

والخوض في مثل هذا الموضوع يقتضي أحياناً التوقف
لمناقشة مسائل واضحة لا إشكال فيها ، بيد أن الأمر يقتضي
الوقوف والمناقشة لما يثار حولها من شبهات وتعرض له من
إساءات ، لا على اعتبارها صواباً أو أنها تملك شيئاً من الوجهة ؛
ولكن لما فيها من خطورة مستمدة من خطورة وأهمية الموضوع
والناحية التي أثرت حولها . ثم لما تجد من عناية البعض بها ممن
لم يتيسر لهم الاطلاع على حقائق التاريخ الاسلامي ، وممن ينساقون
مع ما هو شائع في الأوساط العلمية ، فيرددونها ، وتجد من
الآخرين أذناً صاغية فيرددونها هم أيضاً فتشيع ، وقد ينتج
شيوعتها صوراً شوهاء مقلوبة - ولو بحدود وفي أوساط معينة -
أمام من لم يتيسر لهم دراسة حقيقة المسألة في وضعها التاريخي
السليم ، مستقياً من الكتب الأمهات والمؤرخين الثقات .
ولكن هذه الشبهات في كثرتها تبدو غبية ساذجة سطحية

مضحكة أمام من تهيأ لهم دراسة التاريخ الاسلامي دراسة
سليمة ، تستلهم وقائعه وحقائقه وخصائصه ومقوماته .

وليس هذا البحث دراسة أو سرّداً لأحداث تاريخية ،
أو حديثاً عن ناحية أو جانب معين من جوانب التاريخ الاسلامي ،
بل هو نظرة عامة كلية على التاريخ الاسلامي ، والأسس التي
يجب أن تقوم عليها دراستنا له ، وأهمية ذلك في حياة الأفراد
والمجتمع والأمة ومستقبلها ودورها ورسالتها .

ولله عزّ وجلّ الفضل ومنه التوفيق والسداد

الدكتور

عبد الرحمن علي الحجي



مَنابع دَراسَتنا للتاريخ الإسلامي

إن مَنابع دَراسَتنا الحالية ومشاربنا للتاريخ الإسلامي لم تعتمد فقط على أصوله الأولى التي ورثناها عن العلماء الثقات من الباحثين والمؤرخين المسلمين ومن المنصفين من غيرهم ؛ بل ربما أحياناً اعتمدت اعتماداً كبيراً - إن لم يكن كلياً - على مَنابع غير صافية كتبها أيدي غير أمينة ، نتيجة لأهوائها وأخطائها في فهم هذا التاريخ ، وأعني بهؤلاء على وجه الخصوص المستشرقين المفرضين من كل الأمم ومن تابعهم من أبناء هذه الأمة .

ولا بد من البيان هنا بأن في جهود بعض المستشرقين ما كان مخلصاً ونافعاً أحياناً ، وأن في بعض ما قدموه خدمة لتراثنا ، مهما كانت الدوافع التي وراءه .

ليس التاريخ الإسلامي تاريخ فكر وأحداث وظواهر اجتماعية وأوضاع سياسية ودول سادت ؛ بل أيضاً - وقبل ذلك - هو تاريخ عقيدة شاملة ، لها سماتها وخصائصها ومقوماتها المميزة . ولذلك فإن نظرة هؤلاء المستشرقين عموماً تختلف عن نظرتنا نحن المسلمين ؛ فنظرتهم في كثير من الأحيان مجانبة للواقع . وكثير منهم لا يفهمون طبيعة هذه العقيدة فيخطئون في فهم تطبيقاتها ، حتى لو صح أنهم قد يفهمون إنتاجها الفكري والحضاري

وَيُعْتَرِفُونَ بِهِ وَيَعْجَبُونَ بِمُسْتَوَاهِ الرَّفِيعِ ؛ فَهَم قَدْ نَشَاؤُا فِي
بَيْئَةٍ أُخْرَى لَهَا مَعْتَقِدَاتُهَا وَإِحْجَاءُهَا وَمِفَاهِيمُهَا ، أَوْرَثَتْ بَعْضًا
مِنْهُمْ تَعْصِبًا (١) ، وَرَبْمَا أَوْقَفَتْ الْبَعْضَ الْآخَرَ عَنْ مُحَاوَلَةِ الْكَشْفِ
عَنِ الْحَقِيقَةِ الْمَحْجُوبَةِ .

ثُمَّ هُمْ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْإِسْلَامِ وَلَا يَعْتَرِفُونَ بِهِ وَلَا بِمَا يَنْتِجُ عَنْهُ ،
فَنَحْنُ وَهُمْ مُخْتَلِفُونَ لَيْسَ فِكْرًا أَوْ ثِقَافَةً فَحَسَبَ ، بَلْ أَيْضًا وَلَاءً
وَمُنْتَظَلِقًا مِنَ الْإِسْلَامِ . فَنَحْنُ نُوْمِنُ بِالْإِسْلَامِ وَبِكُلِّ الْكِيَانَاتِ الَّتِي
قَامَتْ بِهِ وَعَلَيْهِ بِكَافَةِ طَاقَاتِنَا وَإِمْكَانَاتِنَا ، وَلَهُ وَحْدَهُ وَلَاؤُنَا . وَمَوْقِفُنَا
وَمَوْقِفُهُمْ مِنَ الْإِدْيَانِ الْآخَرَى مُخْتَلَفٌ ؛ فَنَحْنُ نُوْمِنُ بِكَافَةِ الْإِدْيَانِ
السَّمَاوِيَةِ الَّتِي أَنْزَلَهَا اللَّهُ عَلَى رُسُلِهِ وَنَجَلَّهَا وَنَحْتَرِمُهَا كَدِينٍ . وَإِيمَانُنَا
بِهَا وَبَأَنْبِيَائِهَا شَرْطٌ فِي إِسْلَامِنَا . وَهَذِهِ الْحَقِيقَةُ تَرُدُّ كَثِيرًا مِنْ
الْإِعْتِرَاضَاتِ حَوْلَ مَوْقِفُنَا مِنَ الْمُسْتَشْرِقِينَ وَمِنْ سَارٍ فِي دَرَبِهِمْ وَنَحَا
نَحْوِهِمْ وَامْتَصَّ أَفْكَارَهُمْ أَوْ نَظَرَ نَظَرَاتِهِمْ مِنْ أِبْنَانَا ؛ مِنْ غَيْرِ أَنْ يَحْسَ
ذَلِكَ لِكثْرَةِ مَا ارْتَوَى مِنْ مَشْرِبِهِمْ . وَهُوَ مُتَوَفِّرٌ فِي بِلْدَانِنَا فِي كَثِيرٍ مِنْ
مَصَادِرِ ثِقَاتِنَا وَمَوَاطِنِ تَعْلِيمِنَا (٢) .

وَالْقَلِيلُ مِنَ الْمُسْتَشْرِقِينَ ، الَّذِي أَفْلَتْ - كَلِيًّا أَوْ جَزْئِيًّا - مِنْ
تِلْكَ الْمَوْثُرَاتِ ، وَتَخَلَّصَ مِنْ مَوْرُوثَاتِهِ وَأَجْوَانِهِ « الْعِلْمِيَّةِ » الْمَشْهُوبَةِ

(١) رَاجِعْ : مُحَمَّدُ أَسَدُ « الْإِسْلَامُ عَلَى مَفْتَرِقِ الطَّرِيقِ » ص ٥٢
وَمَا بَعْدَهَا .

(٢) انْظُرْ : أَبُو الْحَسَنِ الْهِنْدَوِيُّ « الصِّرَاحُ بَيْنَ الْفِكْرَةِ الْإِسْلَامِيَّةِ
وَالْفِكْرَةِ الْغَرِبِيَّةِ فِي الْأَقْطَارِ الْإِسْلَامِيَّةِ » ص ١١٩ .

التي ورثها ؛ نراه يعظّم الاسلام ، الأمر الذي قد يقوده إلى اعتناقه ،
والأمثلة على ذلك كثيرة (١) . وهذا يقال للنصف منهم . أما غير
النصف المتحامل فكلامه هراء ، وإن كنا ملزمين بالرد عليه بالحجة
المبينة التي تجعل قوله هباء منثوراً .

والواجب - بالنسبة لكلا الفريقين - يقع على المسلمين
والباحثين منهم . فعليهم أن يقدموا هذا التاريخ - وغيره مما يتعلق
بالاسلام - بصورته الناصعة ، فيقبل النصف الحق ، ويفهمه
الآخرون ، فلا يجد المتحاملون رواجاً لما يقولون فيلزمون جحورهم
منكمشين ويتطايرون بهتانهم في الهواء .

وعلى كل حال فإذا كان لزاماً علينا أن نشكر المخلصين منهم ،
فيمكن - تجوزاً - أن نشكر الحاقدين كذلك ، إذ أنهم نبهونا إلى
قيمة كثير من تراثنا حيث اندفعنا إلى البحث عن الحقيقة التي
تتحطم أمامها مفترياتهم . وهكذا فأمر الصنفين من المستشرقين
وطريقتهمما تكونان خيراً لنا إن أحسننا الانتفاع .

(١) انظر مثلاً : رجال ونساء أسلموا ، في ثلاثة أجزاء ، إعداد
وترجمة عرفات كامل العشي (الكويت ١٣٨٨ هـ - ١٩٦٨ م) .

مخطط الدرس على التاريخ الإسلامي

طبيعته وهيكله :

سوف نرى كيف أن التاريخ الإسلامي أصيب بنكبات كبيرة الحقت به الأذى ، وأوجبت علينا أن نقدم له خدمة كبيرة .

ولذلك فسيخصص جزء كبير من موضوعنا لكشف الأعداء ومخططاتهم .

وهذه المخططات تشمل أموراً وهذه صورة لهيكلها :

أعداء : محليون وخارجيون

أهداف : القضاء على الإسلام ، بانتزاعه أو زعزاعه

بواعث : الأحقاد ، والأطماع ، وسوء الفهم الذي أدى إلى الأخطاء

وسائل : وهي متنوعة وكثيرة وجهت نحو حصون الإسلام :

— عقائده

— حماته (رجاله ودوله)

— تاريخه

— حضارته

ثم : حركات وتيارات متنوعة خلال التاريخ قامت ضده .

ولا بد من الإشارة بأن هذه المحاولات قديمة قدم الاسلام ،
وليس ما نشاهده في العصر الحاضر إلا امتداداً لها ، وحلقة في هذا
الصراع بين الحق والباطل ، وإن اختلفت الوسائل : (بَلْ نَقْذِفُ
بِالْحَقِّ عَلَى الْبَاطِلِ فَيَدْمَغُهُ فَإِذَا هُوَ زَاهِقٌ) (١) .

مثال توضيحي :

اشبه الاسلام بشجرة أمتن الله بها واختار من يفرسها ،
فكان أهلاً لرعايتها والتضحية في سبيلها . ذلكم هو محمد ﷺ ،
الذي عبر عن هذا المعنى من التصميم المتفاني لحمل هذه الأمانة حين
قال في يوم الحديبية - وقد منعه قريش من دخول مكة - :

« فَوَاللَّهِ لَا أَزَالُ أَجَاهِدُ عَلَى الَّذِي بَعَثَنِي اللَّهُ بِهِ ، حَتَّى
يُظْهِرَهُ ، أَوْ تَنْفَرِدَ هَذِهِ السَّالِفَةُ » (٢) .

ثم ازدادت رعاية هذه الشجرة وكثر حماتها ، الذين ورثوها
أمانة وصانوها عقيدة ، خلفاً عن سلف . كما ازدادت فروع هذه
الشجرة التي أورقت وزهت وآتت ثمارها ، وتعضدت وتعددت
أغصانها الكثيرة .

فجذور الشجرة تمثل عقيدة الاسلام . وساقها يمثل أسسه
ومصادره وأركانها ، وخطه وطريقه ، ونظراته الكلية إلى الكون

(١) الآية ١٨ من سورة الأنبياء .

(٢) ابن هشام ، السيرة النبوية ، ٣٠٩/٢ ، السالفة : صفحة
العنق ، وهو كناية عن الموت .

والانسان والحياة . وكل غصن فيها يمثل جانباً من الجوانب
الاسلامية : تاريخ ، وفقه ، وفكر متنوع ، وخلق ، ونظم لكل جوانب
الحياة وإطاراتها ؛ للفرد والأسرة والمجتمع ، وللدولة في سياستها
الداخلية والخارجية ونوع علاقاتها وأسس هذه العلاقات ، إلى غير
ذلك من تفاصيل .

وإن الذي يسري في عروق هذه الشجرة وأغصانها وأوراقها
وثمارها هو روح العقيدة الاسلامية ، والارتباط بالله تعالى والعمل
ابتغاء مرضاته .

وكل جزء أو شعيرة من هذه الشجرة لا تسري فيها هذه الروح
فهي ليست من الشجرة وغريبة عن جسمها وطبيعتها . » ^{ألم}
تَرَ كَيْفَ ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا كَلِمَةً طَيِّبَةً كَشَجَرَةٍ طَيِّبَةٍ أَصْلُهَا ثَابِتٌ وَفَرْعُهَا فِي السَّمَاءِ ﴿٢٤﴾
تُؤْتِي أَكْلَهَا كُلَّ حِينٍ بِإِذْنِ رَبِّهَا وَيَضْرِبُ اللَّهُ الْأَمْثَالَ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ ﴿٢٥﴾
وَمَثَلُ كَلِمَةٍ خَبِيثَةٍ كَشَجَرَةٍ خَبِيثَةٍ اجْتُثَّتْ مِنْ فَوْقِ الْأَرْضِ مَا لَهَا مِنْ قَرَارٍ ﴿٢٦﴾^(١)

فهذه الشجرة الأصلية النبت الصافية النبع مباركة منيرة
خالصة للاسلام لانصيب فيها لغيره أبداً .

وما دام حماة هذه الشجرة يقظين واعين لكل ما يتعلق بها
ويمكنوناتها ، فهي تعطي ثمرها للناس كافة ؛ مسلمين وغير مسلمين ؛
ممن يتقيؤون وارف ظلالتها . ويوم يففل حمايتها عنها فان الأعداء
الحاقدين الظامعين يحاولون القضاء عليها ، على شكل جماعي وحلف

(١) الآيات ٢٤ - ٢٦ من سورة ابراهيم .

أثيم غير مقدس ولا فاضل ، فهم يتفوقون عليها ويتقاسمون الأعمال
بانتظام واتساق حتى يتم لهم القضاء على مكنونات هذه الشجرة
ومعطياتها الخيرة . أو على شكل عمل منفرد ، فيسدّد كل واحد
سهامه نحوها ، وينالها بأذاه بين الحين والآخر .

لقد بذل هؤلاء الأعداء الجهود في زرع الألفام والأمراض في
أرضها وحقن أغصانها بالسموم . وقبل ذلك هاجموا من بقي يقظاً
من حمائها ، بعد أن شغلوهم أيضاً في تنقية ما دسوا على الشجرة
في الوقت نفسه .



كانت الحرب التي شنها الأعداء ضد الإسلام حرباً في العقيدة
الأولى : في الله والقرآن والنبوة ، وفي فقهه وتشريعهِ وتراثهِ ، وفي
فكرهِ ونظرتهِ للإنسان والكون والحياة . وكذلك في تاريخهِ والتهجم
على دولهِ ورجالهِ والطعن فيهِم والتشكيك في أعمالهِم وفي نواياهِم .

وهكذا كان التاريخ الإسلامي أحد الجوانب التي لها النصيب
الوافر من هذه السهام الظالمة المسمومة . وذلك لأنه الجانب الذي
بدت فيه الصورة العملية التطبيقية للإسلام . فالتاريخ الإسلامي
هو تاريخ الشريعة الإسلامية التطبيقية الواقعي وكل انحراف عن
الطريق السوي أصاب هذا التاريخ كان نتيجة للانحراف عن تلك
الشريعة . فدراسة هذا التاريخ هي دراسة للإسلام من الناحية
التطبيقية ، وهي دراسة للذين أخلصوا له ولن اسأؤوا إليه أو
باسمه ، من خارجه أو داخله ، وكشف لوسائلهم .

ولا أعني هنا بالتاريخ الاسلامي الجانب السياسي منه فقط ،
ولكن كل ما أنتجه الاسلام ووجه إليه المجتمع من وجوه النشاط
الحيوية والفكرية والعملية ؛ في داخل المجتمع الاسلامي أو مع غيره
من المجتمعات ، وفي حالات السلم والحرب .

ولذلك لابد من القول بأنه لا يمكن أن يفهم التاريخ الاسلامي
فهماً واقعياً نقياً بدون معرفة شيء عن عقيدة الاسلام وشريعته .

وتدريس التاريخ الاسلامي هو بيان لهذا كله ، وترسيخ
للمعاني التي تحققت في واقع حياة المسلمين وأثرها ، وفيه تنبيه
للبعد عن مهاوي الانحراف والأخطاء وأسبابها . وإن ذلك يفذي
الروح الاسلامي ، ويقوي المعاني الاسلامية في نفوس الجيل بكل
ابعادها النظرية والتطبيقية .

وإن دراسة كهذه تجعل المسلمين يرفضون التهم التي يراد لها
أن تروج في بلاد الاسلام ، وتجعلهم يرفضون المبادئ والأفكار التي
تبدو امام الاسلام كفقايع الماء ، لا يمكن أن يردد أمثالها إلا الببغاوات
أو العبيد ، عبيد التقليد والولاء الأعمى .

ودائماً يلجأ العجزة والمفلسون إلى الالتواء والافتراء هرباً من
مواجهة الحقيقة التي لا يملكون منها شيئاً . ولذلك رأى هؤلاء أنه
لا بد من دراسة التاريخ وتدريسه بشكل معين لا يحقق إلا أغراضهم .
إما باخفاء حقائق كثيرة أو بالاختصار على موضوعات معينة وعرضها
بأسلوب خاص ، ثم توجيه الأنظار إلى تواريخ الأمم الأخرى لزرع
الاعجاب بها ، وصرف الأنظار إليها .



وبحثنا هذا - وهو نظرات وملاحظات عامة - يعتبر مبدئياً جزءاً مما يتعلق بالتاريخ الاسلامي على شكل جهد فردي قليل . وقد يجد فيه البعض شيئاً جديداً وقد لا يجدون ، بيد أن المهم أنه يعتبر تأكيداً وإيضاحاً ووصفاً لكثير من الأمور في تاريخنا الاسلامي ؛ هذه الأمور - كلها أو بعضها - كانت مفرقة هنا وهناك ، فجاء هذا الكتاب فجمعها ونسقها ووضعها بين يدي الدارسين .

ووضع الشيء في مكانه في الوقت المناسب أمر مهم جداً ؛ وإلا سنكون كذلك الخطيب المفوه الذي استدعي للقاء خطبة . وما إن صعد المنبر حتى أرتج عليه ولم ينبس بكلمة . وبعد برهة نزل عن المنبر ، وبينما هو ينزل درجاته بتثاقل توقف وأنشد :

إذا لم أكن فيكم خطيباً فإنني
بسيّفي إذا جد الوغى لخطيب

وعندها قال له بعض الحضور : لو قلتها وأنت على المنبر لكنت أخطب الناس .

وهكذا فات هذا الرجل أن يكون أخطب الناس أنه تأخر في قول ما قال لحظات قليلة .

والمرجو ألا تكون هذه النظرات والملاحظات قد فات أوانها . وأن تجد من همم الباحثين وعزائمهم ما يزيدها عمقاً وتوضيحاً وتأصيلاً في ذهن القارئ المسلم .



إننا ندرس في أحيان كثيرة تاريخنا الاسلامي من وجهة نظر غير إسلامية . ولقد وجدت في بلداننا الاسلامية أوضاع مخالفة للإسلام

ولذلك كادت تنفصل حياتنا عن الاسلام الذي اريد له أن يحصر في نطاق القلب والشؤون الفردية ، على طريقة « الاسلام الامريكي » أو « الاسلام الروسي » أو « الاسلام القومي » أو غيرها من الالوان التي ستلدها الليالي المظلمة .

لقد تلقينا كثيراً من تاريخنا الاسلامي عمن لا يؤمن بالاسلام أصلاً ، أو يفهمه فهماً محدوداً ، بل قد يكون عدواً من أعدائه . وهؤلاء وأولئك قد يجهلون كثيراً من حقائقه أو يتعمون عنها .

ولقد كان من هؤلاء من قصدوا أن يشوهوا التاريخ الاسلامي ويعرضوه مطاعين وشبهات ومطامع وغزوات . فتلقينا عن هذه المصادر واعتبرناها أحق بالرواية والرعاية . ولا أعني بهذا المتعصبين المتحاملين من المستشرقين (اليهود والصليبيين) وحسب ، بل وكذلك كل من واكبهم وسار في دربهم مردداً ما يقولون وما يكتبون .

فلا يمكن إذاً أن يكتب هذا التاريخ أو يفهم أحداثه من لا يفهم عقيدته وطبيعته . ولذلك ارتفعت عقيرة البعض من الجاهلين به بتفسيره وفهم مجرياته على أسس ونظريات خاطئة ، وخاصة بالنسبة للاسلام . وهم بذلك يريدون أن يلبسوا الاسلام أثواباً مستعارة وهنداماً مرقعاً . وتلك مهما زخرفت واتخذت ألواناً خادعة ، إذا كانت تصلح لغير الاسلام . فهي لا تصلح له بحال .

وليس في هذا الحديث أي هجوم على أحد ، وإنما هو بيان لمواطن الحق والصواب والباطل والانحراف . نقول للمحق المحسن أحسنت ونشكره عليه ، ونقول للمخطيء المسيء أسأت ونلومه ، وإذا أصر فإننا نفضح باطله ونكشف دسه وخبثه .

وسائل الأعداء

سلك أعداء الإسلام والتاريخ الإسلامي سبلاً متعددة واتخذوا وسائل متنوعة لتحقيق أهدافهم . وهي سبيل متشابكة متصلة يقوي بعضها بعضاً ، منها : التشويه ، والتجهيل ، والتشكيك ، والتجزيء ، والإهمال .

التشويه :

عرض أعداء الإسلام من التاريخ الإسلامي مقاطع مشوهة عن حقيقتها . ودرست مقاطع مختارة كالمعارك مثلاً . وعرض كل ذلك بأسلوب وسياق معينين ، ليستقر في نفس الدارس أن ليس في تاريخ الإسلام غير المعارك وليس هو إلا تاريخها . وبدت كثير من الكتب وكأنها تاريخ حروب فقط ، ووصف الحروب يغمر أكثر مساحاتها .

كما صورت هذه المعارك الحربية بغير صورتها الإسلامية البناء التي تخدم الحق وتحميه وتصوره ، لتزيل عنها صفة الجهاد في سبيل الله ، وتجردها من غايتها السامية التي هي نشر دعوة الإسلام ابتغاء مرضاة الله تعالى (١) ، فالجهاد في نظر هؤلاء سيف ودماء وليس

(١) راجع كتاب « الجهاد في سبيل الله » لأبي الأعلى المودودي

هداية وبناء . وأين الهداية من السيف ين في الأفق ، ويرق لمعانه في غبار المعارك ؟ وأين البناء والدماء تسيل ويدفع بالناس إلى التسابق في القتل ، لتقليل عدد السكان كعلاج لقلة الغذاء ؟ كما يقول البروفسور مونغمري واط .

التجهيل :

طويت كثير من الصفحات الناصعة من تاريخنا ، فكانت دراسة الأعداء له تقفز من مواقع إلى أخرى قفزاً عشوائياً غير منظم ، أهملت فيه أحداث ذات عبرة ، وفيها الصورة الصحيحة لواقع الإسلام وحقيقته .

فهل نعرف - مثلاً - عن حياة الرسول الكريم عليه الصلاة والسلام والدعوة الإسلامية في مكة غير تعداد الأحداث : بداية الوحي ، إسلام خديجة ولقائها لورقة بن نوفل ، سعيه ﷺ بين الناس ودعوته لهم إلى هذا الدين ، مقابلات متعددة مع قريش ، الهجرة إلى الحبشة ، المقاطعة ثم الهجرة إلى المدينة . علماً بأن هذه الأمور تعرض بأسلوب جاف ، من غير تحليل أو تعميق لمدرجات القوة التي كانت تسير هذه الأحداث والغاية التي كانت من أجلها .

أما حياته ﷺ المدنية ، فماذا نعرف عنها غير المعارك إلا ماندر؟ ماذا نعرف عن أسلوب دعوته والاتجاهات والميادين التي كان يتحرك فيها ويرتادها ، والخطوات التي اتخذها والأساليب التي اتبعها لنشر هذه الدعوة ؟ وكيف كان يقضي يومياته المليئة بالحركة والعمل الإسلامي ؟ واتباعه الذين أسلموا كيف كانوا ينفقون حياتهم ، وكيف

صمدوا ، ومصادر هذا الصمود ، وصور الأذى الذي تحملوه ، ومواقف المشركين ووسائلهم في حرب الدعوة . وماذا نعرف عن تباين إمكانيات كلا الفريقين ونوعية القوى الإسلامية ومصادرها ؟ وماذا نعرف أيضاً عن المستوى الجديد في فهم الإنسان وغايته والمعاني البناءة والخلق العظيم والمفاهيم الرفيعة وسعة حدودها أمام ضيق الجاهلية ودنسها وعفونة الشرك ونجسه وظلام العصبية وارتباطاتها؟

فكم نعرف عن سمية ، أول شهيدة في الإسلام (١) ؟ أو عن المهاجرة التي تركت أهلها في مكة ، وكانوا غير مؤمنين ، فارة بدينها إلى المدينة المنورة ؟ وتلكم هي أم كلثوم بنت عقبة بن أبي معيط (٢) .

ومن ناحية أخرى ، كم نعرف عن (لالا فاطمة) التي قادت الثورة الجزائرية المسلمة سنة (١٢٧٤ هـ / ١٨٥٧ م) فاضطر الحاكم الفرنسي في الجزائر لاختمادها بنفسه (٣) ؟ أو عن فاطمة بنت محمد الفهري - وتدعى أم المؤمنين - التي بنت جامع القرويين (٤) في فاس بالمغرب ، على نفقتها في رمضان سنة ٢٤٥ هـ ، وكانت صائمة طوال فترة البناء (٥) ؟

(١) ابن هشام ، السيرة النبوية ، ٣٢٠/١ ، علي سامي النشار ، شهداء الإسلام في عهد النبوة ، ص ١٠ .

(٢) ابن هشام ، السيرة النبوية ، ٣٢٥/٢ - ٣٢٦ .

(٣) راجع : محمود شيت خطاب ، قادة فتح المغرب العربي ، ٢٤٩/٢

(٤) وهو الجامعة المشهورة .

(٥) محمود شيت خطاب « قادة فتح المغرب العربي » ١٧٨/٢ .

ولعل ما نعرفه عن أي منهم أقل مما نعرف عن جان دارك الفرنسية . ولعل ما نعرفه عن الثورة الفرنسية والوحدات الأوروبية وحركاتها القومية ومعاهداتها أكثر مما نعرفه عن الدعوة الإسلامية ومراحلها وأحداثها وصراعها مع المجتمع الجاهلي المناهض لها بكل قواه ، وذلك حين بذلت الجاهلية في سبيل ذلك من الجهد منتهاه . ورغم ذلك استطاعت الدعوة الإسلامية الانتصار بفضل ثبات رجالها وبذلهم الغالي والرخيص من أجلها .

ثم إننا قد ننظر إلى تواريخ الأمم غير الإسلامية نظرة إكبار وتعظيم أكثر مما نوليه إلى الإسلام وداعيته الأول ﷺ والذين استجابوا له من الأكابر والتعظيم . اليس ما ننقده من السنوات الدراسية في دراسة تاريخ الغير ، وما نحمله من الكتب المدرسية في هذا المجال هو في بعض الأحيان أكثر مما نتجه به نحو التاريخ الإسلامي ؟ إن هذا يحصل حتى في المدارس الثانوية ومعاهد المعلمين وفي المراحل الجامعية ! حتى لقد وجد من المدرسين الذين يدرسون التاريخ الإسلامي من يجهل كثيراً من وقائعه ، ولا يفقه من هذا التاريخ إلا الشيء القليل !!

ومن المستحسن أن نشير إلى مسألة يعتبرها البعض هامشية بيد أن لها مدلولاً خطيراً ، فهي تدل على الجهل الخطير بهذا التاريخ ؛ إن قسماً من هؤلاء ينطقون بعض الأسماء بصورة واضحة الخطأ : عقبة بن نافع ، موسى بن نصير ، غار حراء ، يوم حنين وغيرها . وصوابها : عقبة بن نافع ، موسى بن نصير ، غار حراء ، يوم حنين . بل لقد وجد بين مدرسي التاريخ الإسلامي من المسلمين من

يهاجم هذا التاريخ ويستهن به . وهذا أشد خطراً ممن يهاجم
الاسلام وتاريخه من غير المسلمين . فهو محسوب على هذه الأمة
يحمل اسمها وينتمي إليها ، لكنه في حقيقته عدو لها .

التشكيك :

اما في هذا المجال فقد وجهت السهام إلى التاريخ الاسلامي
ورجاله ، كما وجهت إلى المؤرخين المسلمين انفسهم حفظة التراث ،
فأثيرت الشبهات حول كثير من المواقف الاسلامية التي هي مصدر
افتخار ومنبع فضيلة ، كخروج المسلمين للقاءة عير قريش وموقف
الصحابة يوم سقيفة بني ساعدة .

إن أعداء الاسلام يقصدون هدم هذا الدين ، فسلكوا لذلك
كل الوسائل مهما كانت مجافية لروح العلم واستقامة الخلق .
والمنهج العلمي عندهم هو مايخدم الغرض . وحين يأتي الأمر إلى
الاسلام أو يكون موضوع البحث فالأسلوب العلمي حين ذاك هو
الطعن (١) . إنه من المؤسف أنه لم يتصد لهذه الأساليب ، ليقوّم
معوجها أو يسفه انحرافها الواضح ، من المستشرقين الكثيرين غير
القلة القليلة منهم ؛ علماً بأنهم جميعاً يدعون الأسلوب العلمي ؛
فكيف ارتضوا إذا أمثال هذه التشويهات الباطلة ، وهم يعرفون
الحقيقة كلها أو جزءاً منها ؟

لقد تعددت أساليبهم واتخذ قسم منهم لنفسه في البحوث

(١) محمد أسد ، « الاسلام على مفترق الطرق » ص ٥٣ ،

منهجاً خاصاً هو عندهم المنهج العلمي المفضل . وهذا المنهج هو أن يأتي « إلى أوثق الأخبار وأصدق الأنباء فيقلبها - متعمداً - إلى عكسها ، وكلما كان الخبر أوثق كلما بدت الرغبة - قوية جامحة - في البراعة من ذلك الذي يتبع هذا المنهج » (١) إنه تماماً « منهج العكس » . هل يجهل أحد مثلاً شجاعة المسلمين عموماً وشجاعة الرسول ﷺ خصوصاً ؟ يقول علي بن أبي طالب رضي الله عنه : « كنا إذا احمرت الحدق واشتد البأس ولقي القوم القوم اتقينا برسول الله ﷺ ، فما يكون منا أحدٌ أدنى من القوم منه . » (٢) والحقيقة أن هذا الموضوع وأمثاله غني تمام الغنى عن أي بيان . ومع ذلك فإن القسيس لامانس « يصفه بعدم الشجاعة » (٣)!!

ولا بأس هنا من تناول مسألة أخرى تتعلق بالشجاعة .

إن للشجاعة ميادين عديدة ، وميدان الحرب واحد منها . إن الشجاعة تتجسد في مناداة الرسول الكريم ﷺ بدعوة مخالفة تمام المخالفة لكل ما عند العرب وخاصة قريش التي عرفت بسطوتها وقوتها . وكانت معرفته ﷺ بذلك منذ البداية ، يوم حملته الله الدعوة إلى الاسلام حين قال له : « فاصدع بما تؤمر وأعرض عن المشركين » .

(١) اتين دينيه وسليمان ابراهيم ، محمد رسول الله ، ص ٥٠

(٢) مسند الامام احمد بن حنبل ، ١/٨٦، ١٢٦ وفي الصحيحين « أنه ﷺ كان أشجع الناس » انظر ايضاً : ابن كثير ، البداية والنهاية ، ٥٩/٦ .

(٣) اتين دينيه وسليمان ابراهيم نفس المصدر ، ص ٥١ .

إنها دعوةٌ تثيرهم ضده . وكان يعلم أنه سيلاقى كل صنوف العذاب وأنواع التنكيلات البدنية والنفسية وكل ألوان الإغراء والفتن ؛ ومع ذلك فكان صموده ﷺ قوياً راسخاً طيلة فترة المواجهة مع المشركين ، في مكة وغيرها ، وما أعظم صبره وتحمله يوم الطائف حين ذهب إليها في السنة العاشرة للبعثة لعرض الاسلام على أهلها ، فقابلوه بالإهانة والطرود والضرب بالحجارة ، حتى دميت قدماه الشريفتان ، وما أعظم ما خاطب به ربّه - سبحانه - يومها : « ... إن لم يكن بك علي غضبٌ فلا أبالي ، ... لك العتبى حتى ترضى ، ولا حول ولا قوة إلا بك » (١) .

إن هذه الشجاعة تفوق شجاعة الحرب ، ومن يستطيعها لآثره به الحرب والظعان ولا منازلة الشجعان . وكذلك كانت شجاعة أتباعه الكرام ، حملة الدعوة المباركة ، فقد ظهرت منهم ضروب من الشجاعة لم يسجل التاريخ لها مثيلاً ، وكانوا في ذلك تلاميذ نجباء لمربيهم ومعلمهم المصطفى ﷺ .

كان الاسلام - وهو الدعوة التي حملها رسول الله وأصحابه - أعزل ، لا شيء معه من هذه القوى والامكانيات التي بيد الجاهليين ، أضف إلى ذلك غربة هذه الدعوة الكريمة وجدتها ومخالفتها ومنافرتها لما ألفوه . ورغم ذلك كان الاستمرار والانتصار ، ثم الترفع عن الانتقام ، إحسان في المعاملة وعفو عند المقدرة .

إنها ألوان رائعة من الشجاعة لا تستطيع أن ترقى إليها النفوس المتدنية ، ولو كانت قوية في حمل السيف والضرب به

(١) ابن هشام ، السيرة النبوية ، ١/٤٢٠ .

في الميدان . فلك شجاعة أخرى نفسية وخلقية انتصر صاحبها في أخلاقه وفي تحقيق مثله الإسلامية الربانية وإخضاع النفس لها وتحمل كل شيء في سبيلها ، وهل يمكنه الوقوف الثابت في ميدان الدعوة إلا مَنْ انتصرت في نفسه هذه العقيدة وأخضعها لمثلها ؟

فهل إن قريشاً والمعارضين للدعوة الإسلامية كانوا هم وحدهم الشجعان ، لأنهم وثنيون وأعداء للإسلام ، ؟ وهل عند تحولهم الى الإسلام فقدوا شجاعتهم كما يرى الأب « لامانس » ؟!



لقد استغلت أيضاً بعض المواقف في أحداث التاريخ الإسلامي ، فيها نقاش وأخذ ورد ؛ فأطال أعداء الإسلام الوقوف عندها والتزموا جانباً معيناً يعينهم على تحقيق أغراضهم ، كمسألة خالد بن الوليد مع مالك بن نويرة في حروب الردة . إنه حتى لو أخطأ خالد التصرف فإن ذلك كان مرفوضاً من قبل المسؤولين ، ولكن يبدو أن كل ما يتعلق بهذا الموضوع مفتعل ، وأن هذه المسألة ليست بالشكل الذي سيقّت به ، ولعل فيها أموراً هي بحاجة إلى تجلية جوانبها (١) .

ولكن لماذا يطيلون الوقوف أمام مثل هذه الأحداث دون غيرها ؟ ولا يتوقفون مندهشين معجبين أمام المواقف الإسلامية الرائعة الساطعة ؟ لماذا وقفوا من بعض الأحداث المسطرة

(١) راجع عن هذا الموضوع : ابن الأثير ، الكامل ، ٣٥٨/٢ ، سيد قطب ، العدالة الاجتماعية في الإسلام ص ١٧١ ؛ صادق عرجون ، خالد بن الوليد ، ص ١٤٧ وما بعدها .

في التاريخ الاسلامي - والتي لم تنل حظها من التحقيق العلمي -
هذا الموقف المشين ؟ لماذا يقفون منها توقف ضنين ضاع في التراب
خاتمته ؟!

لماذا لا يطيلون النظر في موقف قريش من المسلمين أيام
المقاطعة في مكة التي دامت ثلاث سنوات ؟ تحمل المسلمون
فيها ما لا يمكن تحمله بدون تلك الطاقة الإيمانية التي استمدوها
من عقيدتهم الاسلامية . حتى ليرى أن المسلمين من شدة الجوع
اكلوا اوراق الشجر وشدوا على بطونهم الحجر (١) .

ولعل المقاطعة وغيرها من الوسائل القاسية وموقف المسلمين
وثباتهم خير دليل على نضاعة الاسلام وقوته وسموه ونوعية أتباعه ،
كما هو دليل على اخفاق قريش والمشركين وعجزهم وإفلاسهم .
وهو اشبه بإخفاق وإفلاس هؤلاء الذين يهاجمون اليوم الاسلام
وتاريخه بالكذب والافتراء .

لماذا لا يكون الحديث عن قريش التي ارتكبت هذه الجريمة
مع الذين يدعونها إلى الهدى وسلوكوا اليه أقوم السبل وأرقها .
فأنكرت قريش كل ذلك كما أنكرت صلة الرّحم وكلّ الصلات
الانسانية الأخرى ، حتى تلك التي لا يتخلّى عنها الحيوان الأعجم .
اتبعت قريش كل ذلك مع من عرفته انساناً كريماً نبلاً
منذ نشأته الأولى . وهي التي أطلقت عليه في الجاهلية الأمين .

(١) راجع : أمين دويدار ، صور من حياة الرسول ص ١٨٢ .

وهو نفسه الذي تعرض للموت على يديها أكثر من مرة (١) . ولم تنفع معها مقابلة هذه الاساءات بالخلق القويم .



وكذلك الأمر بالنسبة إلى حروب الردة وموقف مسيلمة الكذاب .

لماذا لا توجّه الانتقادات من قبل هؤلاء الأعداء إلى أعمال المرتدين الشائنة ؟ أم لعلها تلقى منهم المديح وتكون موضع التكريم والإطراء (٢) ؟ نعم لقد حصل ذلك ، لأنهم أولياء للجاهلية أنصار لها ، أعداء للإسلام مبغضون له !!

ماذا عن وقعة المسلمين الرائعة وثباتهم في هذه المحنة - حروب الردة - التي تألبت عليهم فيها الفوغائية ، ورمتهم عن قوس واحدة تيارات حاقدة ؟

لا شيء عن ذلك . لماذا ؟ لأن هؤلاء الأعداء مشغولون باختلاق مؤامرة وتوزيع أدوارها وحياسة خيوطها ، فتلك الأمور هي بيت القصيد من بحوثهم . ذلك أن أبا بكر ، وأبا عبيدة بن الجراح ، وعمر بن الخطاب - رضي الله عنهم - عملوا مؤامرة لحصر الحكم فيهم (٢) !!

(١) ابن هشام . السيرة النبوية ، ١/ ٢٩٠-٢٩١ ، ٤١٦ ، ٤٨٢ .

(٢) اتيين دينيه وسليمان ابراهيم ، محمد رسول الله ، ص ٥٣

(٣) ذلك ما قاله المستشرق الفرنسي القس هنري لامانس وردده آخرون . انظر : محمد ضياء الدين الرئيس ، النظريات السياسية الإسلامية ، ص ٢٧ . وستأتي مناقشة هذه المسألة .

ولكن لماذا لا يتحدث هؤلاء المستشرقون (غير المنصفين) عن جرائم دولهم والأساليب الوحشية « المتمدنة » ! التي يعاملون بها شعوباً آمنة (١) ؟ ولكن كيف يمكن أن نطالبهم بذلك وإن منهم من ساعد وعمل على خدمة هذا الاستعمار بطريقة أو أخرى ؟ كيف يمكن ذلك و « الاستشراق كمنهج عقلي تولد من أبوين غير شرعيين : التبشير الذي خطط له ، والاستعمار الذي غذاه . ولا زال يعمل من أجل الفرض الذي أوجد من أجله الا وهو تقويض أركان العقيدة الإسلامية ، وإحلال تصورات ومفاهيم مناهضة لهذه العقيدة ، وتكوين شبكة فكرية في العالم الإسلامي تدور في فلكه وتبشر بـتعاليمه وتستمد منه . » (٢)

لقد كان لهذه الحملات تأثير على المسلمين في فهم تاريخهم فهم قد اعتمدوا على كثير من مؤلفات غير المخلصين للإسلام . فكم من كتبنا التي نعتمدها صورت لنا حوادث رائعة - من مثل ذلك الثبات العملاق والتعالي المتسامي الذي أبداه المسلمون أمام ضغائن قریش خلال المقاطعة وحين الردة مثلاً - تصويراً غير صحيح (٣) ؟!

(١) انظر : « الجهاد في سبيل الله » لأبي الأعلى المودودي

ص ٤ - ٧ .

(٢) عرفان عبد الحميد (المستشرقون والإسلام) . مجلة

الوعي الإسلامي ، ٣٥/١٦ .

(٣) راجع : اتين دينيه وسليمان ابراهيم ، محمد رسول

الله ، ص ٥٤ .

ويوم مات أكبر نصيرين للرسول ﷺ (عمه أبي طالب وزوجه خديجة) في عام الحزن نالت منه قريش ما لم تنله من قبل ، فقد دخل ﷺ يوماً بيته والتراب على رأسه ، فقامت اليه إحدى بناته وجعلت تزيله عن رأسه الشريف وتبكي ، ورسول الله ﷺ يقول لها : « لا تبكي يا بنية ، فإن الله مانعٌ أباك . » (١) إن ثبات النبوة هذا وصمود العقيدة لا يحظى باهتمام هؤلاء الأعداء ، فهم مشغولون بتشويهه والتشكيك بهذا التاريخ لأنهم يهدفون من وراء ذلك إثارة القلق وزعزعة الثقة في نفوس المسلمين والشبيبة المسلمة بهذا الدين الذي اكرمهم الله به .



إن الحرب ضد التاريخ الإسلامي شملت حماية الإسلام وتاريخه متمثلاً في قاداته وعلمائه ودوله ، مبتدئين بالرسول الكريم عليه الصلاة والسلام ، فقد شككوا في أصل دعوته ومصدرها وفي كل النوايا والأهداف ، والذي لم يستطيعوا التشكيك فيه أولوه تأويلاً يسير في نفس خطهم . وذهب تشكيكهم حتى في حياته ﷺ قبل الدعوة ، وتوقفوا كثيراً عند كل هدف ليطلقوا عليه ما أمكن من سهامهم . ثم امتد تشكيكهم الى دعوته وحياته المكية والمدينة ، ثم تناولوا تصرفات الخلفاء من بعده والقادة المسلمين ، ثم الدول التي حملت مشعل الهداية الإسلامية .

(١) ابن هشام ، السيرة النبوية ، ١/٤١٦ ؛ ابن الأثير ، الكامل ، ٩/٢ ؛ امين دويدار ، صور من حياة الرسول ، ص ١٩٠ .

فهذا أحد المستشرقين - ويبدو أنه « قسيس بلباس مدني » (١) - يعتبره البعض من المنصفين الذين أدركوا أبعاد الإسلام ودافعوا عن قضاياه ؛ وممن ذهب هذا المذهب الاستاذ العقاد في كتابه « ما يقال عن الاسلام » (٢) ولهذا المستشرق عدة مؤلفات عن الاسلام والتاريخ الاسلامي باللغة الانكليزية . ذلكم هو البروفسور السالف الذكر مونتغمري واط الذي عمل عميداً للدراسات العربية والاسلامية في جامعة أدنبره في بريطانيا .

يقول هذا المستشرق في كتابه « محمد في مكة » ما مؤداه : أن محمداً كان يذهب إلى غار حراء لا ليتحنّث - يتعبد - كما هو معروف ؛ لكن للاصطياف !!؟ معللاً ذلك بأن أغنياء مكة كانوا يذهبون إلى الطائف هرباً من حرها ، أما هو فلم يكن في وسعه مجاراتهم لفقره ، ولذلك كان يذهب إلى غار حراء ليصطاف (٣) .

بخم بخم لهذا البحث الواعي الرصين ، والمستوى العلمي النزيه !!

ولولا أن هذه المسألة لا تستحق أي شيء من الاهتمام ، لكننا اشبعناها بحثاً واثينا عليها من القواعد ، ولكني ربما أجدني

(١) انظر : مصطفى السباعي ، الاستشراق والمستشرقون مالهم وما عليهم ، ص ٥٤ .

(٢) ص ٢٢٤ (الطبعة المصرية) .

(٣) انظر كتاب « محمد في مكة » الجزء الأول صفحة ٨١ ، تعريب شعبان بركات ، منشورات المكتبة العصرية . بيروت .

مضطراً للوقوف موقف ذلك القاضي حين أُحضر إلى محكمته قائد عسكري متهم باستسلامه للعدو في ساحة الحرب . فقال للقاضي : إن لديّ مبررات قد تصل إلى عشرة تدعم صواب تصرفي ، أولها : نفاذ الذخيرة . فقال له القاضي : كفاني ماتقول لتبرئتكَ ، ولست بحاجة إلى سماع المبررات الأخرى .

أقول : سيكون الرد على « البروفسور واط » مثل رد هذا القائد ، وذلك : إن خديجة زوج الرسول الكريم عليه الصلاة والسلام التي أحبته كل الحب ، وأعجبت به كل الإعجاب كانت مستعدة لتهيئة كل ما يريد خصوصاً وأن هذه الزوجة الوفية « كانت كثيرة المال وافرة الثراء ، لها تجارة واسعة ترسلها إلى الأسواق مع ما ترسله قريش من قوافلها ، وكانت قافلتها أحياناً تعادل قوافل قريش بأجمعها » (١) .

ترى أما كان بإمكان هذه الزوجة أن تمده بما يوصله إلى الطائف للاصطياف فيها ، وتجنّبه مشقة صعود الجبل للوصول إلى الغار الذي يستغرق مع الجهد المنهك ساعة من الزمن أو تزيد للوصول إليه (٢) ؟ وهل بعد هذه التفاهة المضحكة وأسلوب البحث المثير للسخرية نطلق على هذا وأمثاله بأنهم من قادة الفكر ، وزعماء البحث العلمي والإنتاج الأكاديمي للوصول إلى الحقيقة ؟ أو أنه

(١) أمين دويدار « صور من حياة الرسول » ص ٨٥ ، ٨٩ - ٩٠ .

(٢) عن هذا الغار راجع : « صور من حياة الرسول » ،

ص ١١٨ - ١١٩ .

من المنصفين الذين عرضوا الإسلام بأمانة ، ومن المعتدلين الذين
دافعوا عنه (١) ؟



ويتحدث أعداء الإسلام عن المنافقين في التاريخ الاسلامي .
فهم في نظرهم « أبطال الوطنية » (٢) ؟ ويذكرون زعيمهم
عبد الله بن ابي بن سكلول - الذي اثار عدداً من الفتن - بالثناء
عليه . لكنهم هل يذكرون الموقف المؤمن المشرف لابنه وسميه
(عبد الله) حين بلغه موقف ابيه في غزوة بني المصطلق
(المرينسيك) (٣) ؟ لقد طلب هذا الابن من الرسول ﷺ أن يقتل
اباه ، فأبى الرسول الكريم ، إذ لم يريد أن يتحدث الناس ويقولون :

(١) راجع ص ٢٦ من هذا الكتاب . والبروفسور واط نفسه
يقول في كتاب له عن الاندلس: بأن دوافع الفتح أو الحروب الإسلامية
كانت لمعالجة مشكلة الفداء كي يقتل الرجال ويقل الطلب . وهذا
نفسه ، في رأيه ، هو ما كانت عليه الجاهلية ، وإن الجهاد الإسلامي
لا يختلف كثيراً عن حروب الجاهلية وإن كان قد طور ونسق بشكل
جديد . راجع : للمؤلف ؛ اندلسيات (المجموعة الأولى) ،
ص ٩٣ - ٩٤ .

(٢) اتنين دينيه وسليمان ابراهيم ، محمد رسول الله ،
ص ٥٣ - ٥٤ .

(٣) وكانت في شعبان من السنة السادسة للهجرة . ابن هشام
« السيرة النبوية » ٢ / ٢٨٩ .

« إن محمداً يقتل أصحابه » ! لكنه قال للمسلمين : « بل نترفق به ، ونحسن صحبته ما بقي معنا . » (١)

لماذا لم يقفوا لإلقاء الأضواء على هذه المواقف الرائعة للرسول الأمين وموقف عبد الله بن عبد الله بن أبي بن سلول ؟ فما هو السر الكامن وراء الاهتمام بأبن سلول رأس المنافقين ؟ هل من نسب حقيقي متمثل في صلة الرحم أو صلة الفكر واتحاد الهدف ؟ الأمر لا يخلو من أحدها أو كلها .



ثم نذكر ما قيل عن يوم السقيفة ، حين اجتمع المسلمون يوم وفاة الرسول عليه الصلاة والسلام لانتخاب خليفة لهم . قالوا : إنه كانت هنالك مؤامرة ثلاثية اشترك في تدبيرها ثلاثة نفر (٢) : أبو بكر وعمر وأبو عبيدة بن الجراح ، لحصر الحكم فيهم الواحد بعد الآخر !! وإذا توهموا بأن لهم في ظاهر الأمر ما يؤيدهم فذلك وهم خداع . فجميع الحقائق التاريخية الناصعة والوقائع الأكيدة تلطمهم على وجوههم ، وتخرس ألسنتهم ، وتكشف تعصبهم ، وتفضح افتراءاتهم . ولو كانت هناك مثل هذه المؤامرة فكيف خفيت على جميع الناس المعاصرين لها ، فلم يذكر أحد شيئاً من ذلك ؟ وكان بين المؤمنين وحولهم اليهود والمنافقون والمشركون وكلهم يتربصون

(١) ابن هشام « السيرة النبوية » ٢/ ٢٩٠ - ٢٩٣ .

(٢) انظر ص ٣٤ من هذا الكتاب .

بالمسلمين الفرص . فكيف بهم يرون مثل هذا التآمر ولا يشيعونه ؟
ما سمعنا أحداً قط قال مثل هذا الكلام . فكيف كتبت هذه
الأخبار عن أولئك القوم وعرفها هؤلاء بعد مرور القرون الطويلة ؟
يبدو أن عبقريتهم المتعفنة وعقليتهم النتنة استطاعت أن تطاول
الزمان وتمزق حجب الكتمان لتخرج لنا هذه المكنونات
الملفقة البشعة . نعم إنها عبقرية الدس ، وبطولة التعصب والعداء ،
ومهارة الاتهام ، وشجاعة الاختلاق والاجترار التي فاق بها هؤلاء
أجدادهم من المنافقين والأعداء .

كيف يمكن أن يكون هؤلاء أصحاب مؤامرة وهم الذين
ضحوا بكل شيء في سبيل الاسلام ، ومواقفهم قبل الهجرة
وبعدها معروفة لشدة سطوعها وقوة نورها التي عشت فيها
عيون هؤلاء الأعداء الحاقدين والأقزام الناقمين ، فما يدركون
الحق ولا يبصرون النور ، لقد كان كل واحد منهم يريد أن
يقلد غيره الخلافة ويرفضها بحزم لنفسه (١) .

إن إخلاص هؤلاء جميعاً للإسلام معروف قبل الهجرة
وبعدها . وكل منهم له أروع المواقف . أبو بكر وتضحياته
في مكة ، وموقفه في حماية الرسول وحسن اتباعه له وثقته
 المطلقة به ، معروف كله حتى سمّي بـ « الصديق » . كذلك
مرافقته للرسول ﷺ في الهجرة وافتدائه له بنفسه ؛ فكان مرة
يسير خلف الرسول الكريم ﷺ وأخرى أمامه . وحين سأله عن

(١) راجع : ابن الأثير ، الكامل ، ٣٢٥/٢ - ٣٢٧ .

ذلك قال أبو بكر رضي الله عنه : « يا رسول الله اذكر الطلب فأمشي خلفك ، ثم اذكر الرصد فأمشي بين يديك . » (١) ومواقفه في المدينة ثم في الخلافة ووقفته يوم الردة كل ذلك معروف مشهود له به . ألم يقل حين طلب إليه ألا يحارب المرتدين : « إنه قد انقطع الوحي ، وتم الدين ، أو ينقص وأنا حي ؟ » (٢) فلم كل هذا الإصرار الذي قد يعرض كرسيه وحياته للخطر ويذهب هو ومؤامرتة ؟

هذه صور من سيرة أبي بكر ؛ أما عمر بن الخطاب ، فإن له سيرة ناصعة البياض أيضاً ، فهو الآخر معروف بجهاده في سبيل الله وصلابته في الحق - وهذا دين كل المسلمين ، خاصة الصحابة الكرام رضوان الله عليهم - إن عمر بن الخطاب لم يتسامح حتى مع أهل بيته وأبنائه ونفسه . وذلك ما فعله غيره من الصحابة الكرام . ألم يحاسب علي بن أبي طالب كرم الله وجهه ابنته أشد الحساب ومنعها من استعارة عقد من بيت المال !!

فسيرة هؤلاء كلها بياض مشرقة وعطرة عبقة . فماذا يفعل الأعداء معها وأين يذهبون بها ؟

ليس عمر بن الخطاب هو الذي حرّم على نفسه ، بل وأقسم ألا يذوق (وهو خليفة ، في عام الرمادة - المجاعة - ، في السنة الثامنة عشر للهجرة) السمن واللحم واللبن ، حتى يذوقها كل الناس ؟ ووصل إلى درجة ضعف معها جسمه

(١) ابن كثير ، البداية والنهاية ، ٣/ ١٨٠ .

(٢) علي الطنطاوي ، أبو بكر الصديق ، ص ١٦٣ .

وهزل وتغير شكله وشحب وجهه واسودَّ لونه « وكان -
أبيض . « (١) - . وشوهد في يوم شديد من أيام الصيف
متعمِّماً بعباءة وهو يطلي بالقطران بعيراً من إبل الصدقة (٢) .

وأبو عبيدة بن الجراح ، « أمين هذه الأمة » (٣) ، المجاهد
المضحّي . ألم يكن في أوقات المعارك يسهر الليل محافظاً على
الجند ، يتجول حول خيامهم ويتفقد معسكرهم من غير تكليف
من سلطة ؟ وفي السنة الثامنة عشرة للهجرة كان طاعون عمّواس
في الشام حيث كان أبو عبيدة ، فأرسل إليه الخليفة أن يأتيه حال
تسلمه الكتاب ، لكن أبا عبيدة أجابه : ب « اني في جند من المسلمين
لا اجد بنفسي رغبة عنهم ، فلست أريد فراقهم حتى يقضي الله
فيّ وفيهم أمره وقضاه ، فخلّني من عزمك يا أمير المؤمنين
ودعني في جندي . « (٤)

وهكذا كان بقية الخلفاء الراشدين والصحابة الكرام .
أهؤلاء الثلاثة - وهم من خيار الصحابة - يقومون بمثل

(١) ابن سعد ، الطبقات الكبرى ، ٢٨٣/٣ ، ٣١٣ ، ٣١٧ ،
٣٢٤ ، ٣٢٦ . ابن الأثير ، الكامل ، ٥٥٥/٢ .

(٢) ابن الجوزي ، سيرة عمر بن الخطاب ، ص ٦٢ ؛ علي وناجي
الطنطاوي ، أخبار عمر ص ٤٣٨ . كذلك : تاريخ الطبري ، ٢٠١/٢ .

(٣) مسند الإمام أحمد ، ١٥/٦ (رقم ٣٩٣٠) .

(٤) ابن كثير ، البداية والنهاية ، ٧٨/٧ ؛ ابن الأثير الكامل
٥٥٩/٢ .

هذه المؤامرة؟! هذه المؤامرة التي خفيت على سائر الناس طيلة قرون ، حتى جاء « لمانس » فاکتشفها! !

إن المقصود هو الإسلام ورجالاته وحماته ، وسهام الأعداء إنما تصوَّب في هذه الوجهة!!

إن كل ما قام به هؤلاء الصحابة الكرام - وغيرهم من المسلمين - كان في منتهى الخدمة المخلصة والتضحية البالغة التي ليس فيها لغير الله وابتغاء رضاه نصيب . فهل هذا هو مفهوم المؤامرة في نظر العميان ؟ نعم إنها مؤامرة من أعداء الإسلام لطعن الإسلام ورجاله ، إنها مؤامرة أنبتتها عقولهم المظلمة التي تمتلئ بالخبث والكيد الشديد .

أشترك عمر في مؤامرة وهو الذي تهدد بالقتل من يقول بموت الرسول ﷺ ؟ اليس في وفاته بداية لتنفيذ تلك المؤامرة؟! !

ثم لم يكن لأبي عبيدة دور في هذا الشأن ؟

إن الذي جرى يوم السقيفة بعد وفاة الرسول عليه الصلاة والسلام كان أمراً طبيعياً . فالمسلمون قد اجتمعوا وتناقشوا فيما بينهم فيمن يخلف رسول الله فيهم ، وكانت مناقشة أخوية حرة أبدى فيها كل رايه ، ثم كان الإجماع عاماً بعد ذلك على انتخاب أبي بكر الصديق - رضي الله عنه - في بيعتين : خاصة ، وعامة .

ليس من مفاخر المسلمين أن مثل هذا الأمر الخطير يتم في ساعة من نهار وباتفاق تام ، وفي أول تجربة للشورى بعد وفاة النبي ﷺ ؟

ماذا كان يريد أعداء الإسلام أن يحدث ليرضوا عنه ، ويكفّوا

السنتهم ، ويهشموا أقلامهم ؟ ربما كانوا يريدون أن يقوم بين الأطراف قتال ليضعف أمر الإسلام وتذهب دولته .

كان المؤتمرون ينتمون إلى قبائل مختلفة ولولا أخوة الإسلام لحدث شيء لا يعلمه إلا الله ، ولكن بفضل أخوة الإسلام كان القرار عاماً ، والبيعة شاملة قائمة على الرضا والصدق . وسارت قوى المسلمين جميعاً في خط واحد لخدمة دينهم ، فواجهوا كل الأحداث الجديدة أقوىاء بأخوتهم ، ثم انطلقوا مجاهدين فدكوا حصون أكبر دولتين في الأرض يومها حتى أسقطوها ، ودخل الناس في دين الله أفواجا .

إنه لو كان هناك خلاف يستحق الذكر بين الصحابة في يوم السقيفة فليس في ذلك عيب ؛ إذ أن مجرد الاختلاف في الرأي أمر من طبيعة البشر . وإن إبداء الرأي بأدب واحترام يدل على محبة الصحابة لبعضهم وعلى تعلقهم بدينهم ، والاهتمام بمصلحته التي هي فوق كل شيء .

إن كل المجادلات والاختلافات انتهت في نفس اليوم أو في اليوم الثاني ، ولم يكد يحدث تطاول من البعض على البعض الآخر ، أو أن يشتم أحد أحداً (١) ، عدا مجادلات فردية محدودة .

أليس ذلك مكرمة للإسلام والمسلمين يستحقون عليها التقدير ، لا أن تثار حولهم من أجلها الشبهات ؟

علماً بأن ذلك تمَّ في جو كانت فيه في داخل صفوف المسلمين

(١) راجع ابن الأثير ، الكامل ، ٣٢٦/٢ - ٣٣١ .

عناصر تنتهز الفرصة وتحاول جاهدة أن تثير كل شغب ، وفي الخارج كانت هناك جماعات يكاد خطرها يطرق باب المدينة أو ينقص اطرافها (١) أما إنه لولا الإسلام لهبت على الناس فتنة نشبت معها المارك داخل المدينة بسبب العصبية التي عُرِف بها العرب قبل الاسلام لكن الاسلام اذهبها ، ولكن رسول الله ﷺ ألغاهما وألغى كل صور الجاهلية في خطبة حجة الوداع ووضعها تحت قدميه الشريفين حين قال : « إلا إن كل شيء من أمر الجاهلية تحت قدمي هاتين موضوع » (٢) .

وما كان أعظمه من اختيار ، حين اختار المسلمون أبا بكر ، لقد كان اختياراً ممتازاً موفقاً ظهرت للمسلمين آثاره الطيبة في خلافة الصديق حين قام بأعمال خلال سنتين ونصف يعجز عصبه من الرجال الأقوياء أن يقوموا بها في عشرات السنين .

ليس اليوم بعد أن تقدمت النظريات في السياسة والحكم وفي المجتمع نرى في مختلف أنحاء الأرض وعلى اختلاف درجات التمدن انه تقوم المذابح والمؤامرات والانقلابات العسكرية لأبسط الأمور ؟ فلماذا إذن كل هذا الضجيج وذاك المعجيج ؟ ولكن في الصدر حاجة ، وفي النفس غرض ، وفي القلب مرض !!

(١) انظر : ابن كثير ، البداية والنهاية ٦/ ٣١٢ - ٣١٣ .

(٢) محمد ناصر الدين الألباني ، حجة النبي صلى الله عليه وسلم ، ص ٧٧ .

التجزيء :

لقد جزاوا هذا التاريخ إلى مقاطع ، و فرقوا أوصاله إلى أشلاء تجابه بها عقول المسلمين . وربما كان بعض هذه الأشلاء لا تزال تقطر منها دماء تقطيعهم لهذا الكائن ، أعني به : التاريخ الاسلامي . فنتج عن ذلك أن أماتوه حين قطعوه ولم يسيروا إلا إلى أوصال قليلة بدا فيها مشوهاً حتى بعد موته .

فلم يدرس التاريخ الاسلامي ككائن حي مكتمل سليم ، بل درس على أنه أوصال وأجزاء وتفاريق لكائن مشوه . فترانا في كثير من الأحيان لاندرسه على أنه حلقة متصلة وسلسلة متتالية متناسقة الاحداث والاجزاء ، متابعة المجرى في البداية والهدف ، تنتظمها في كل ذلك صبغة واحدة اتسقت نهايتها مع البدايات وتوافقت في مخبرها مع المظهر . ولذلك ترانا في العهد المدني للدعوة الاسلامية لانعرف غير المعارك ، وبالطريقة التي أُريدت . ثم إننا ننتقل بعد الهجرة - من غير أن نتحدث إلا القليل عنها ودوافعها ونتائجها والمجتمع الجديد الذي أنتجته - ننتقل من الهجرة إلى معركة بدر التي كانت في السنة الثانية للهجرة وبعد ما قد يزيد على ثمانية عشر شهراً منها . وفي الحديث عن معركة بدر قد نشير إلى اتهامات معينة أو التهوين من أمور خاصة .

ثم ننتقل إلى معركة أحد فالخندق ثم إلى عدد من الغزوات بعدها ، ثم إلى وفاة الرسول عليه الصلاة والسلام . حتى ليصور للدارس أحياناً بأن تاريخ الاسلام في المدينة المنورة - الذي يمثل ذروة انتصاره وانطلاقه إلى الوجود الواقعي - ليس هو إلا تاريخ

معارك وحروب ، وحتى هذه المأرك فهي تدرس بدوافع معينة صورتها لهم أفهامهم المنحرفة ، حتى إننا لو حذفنا هذه المأرك لما بقي في الكتاب إلا قليل من صفحاته المكتوبة .

ثم ماذا نعرف بعد ذلك ؟ لنعرف إلا قليلاً عن نشاطات المسلمين الأخرى في المدينة بعد أن أقاموا المجتمع الجديد ، الذي لم يكن جديداً في وجوده فقط ، لكنه كان جديداً في عقائده وأفكاره ، في مفاهيمه وتعاليمه ، في موازينه وآفاقه ، في روحه ومشاعره ، في كيانه وبنائه ، في طبيعته وأهدافه .

الإهمال :

كان من خطط أعداء الاسلام أن يهملوا ذكر كل ما هو مدعاة للفخر في تاريخنا ، وأن يضخموا أموراً اعتيادية ، ويختلقوا أموراً لا وجود لها لتشويه هذا التاريخ . إنهم قد يختلقون العداء مثلاً بين عمر وعلي رضي الله عنهما ، ولكنهم يهملون أموراً أخرى حقيقية قد تفسد عليهم ما اختلقوه ؛ هذه الأمور التي تعبّر عن العلاقات الودية الحسنة بين هؤلاء الرجال المؤمنين جميعاً والمحبة العميقة والاخلاص المتناهي . ولكن يبدو أن هذه العداوات المفتعلة بين الصحابة قائمة في أذهان هؤلاء ، وما كانت البتة قائمة في الواقع .

إن ذلك الإهمال يظهر جلياً وعن قصد وتخطيط في عدد من مؤلفاتهم . فمثلاً كتاب الدكتور فيليب حيتي « تاريخ العرب (١) »

(١) ألّف هذا الكتاب (بالعربية) بالاشتراك مع ادوار جرجي وجبرائيل جبور (بيروت ، ١٩٦٥) ، وإن كان حيتي هو المؤلف الحقيقي للكتاب .

والمكون من جزأين كبيرين ؛ نجد أن صاحب هذا الكتاب قد أخطأ حتى في عنوانه ، إذ أنه لم يكن تاريخاً للعرب وحدهم وإنما كان تاريخاً للإسلام ودعوته وشعوبه وانتاجه الحضاري ودوله . فكان يجب أن يكون عنوانه مثلاً : تاريخ الإسلام (أو المسلمين) ، كما فعل عدد من المؤرخين ، حتى الأوروبيين . إن كتاب (حتي) لم يكن تاريخاً للعرب وحدهم ، حتى لو نظرنا إلى الأجناس التي تحدث عنها بصرف النظر عن ارتباطها بهذا الدين الذي جمعها على عقيدته ، وانطلقت تعمل بروحه وبهديه . إنه يتحدث عن العرب كما يتحدث عن الفرس والسلاجقة والمماليك والأتراك والمغول والبربر وعدد من أجناس آسيا ومن أسلم من شعوب أوروبا وغيرهم . ثم بعد كل ذلك يسمى كتابه « تاريخ العرب » !

يقع الجزء الأول من هذا الكتاب في ٤٠٨ صفحة . يتكلم فيه عن تاريخ الجزيرة العربية في الجاهلية قبل الإسلام في سبعة فصول ، تقع في ١٥٢ صفحة . بينما يتحدث في تسعة فصول عن الإسلام ودعوته حتى نهاية عهد الخلفاء الراشدين ، ومع كل التغيرات التي أنتجتها هذه الدعوة والمجتمع الجديد الذي بناه الإسلام والفتوحات وانتشار الإسلام وكذلك اللغة العربية وتأثيرها ، كل ذلك يقع في ٩٣ صفحة فقط . وفي الفصل الثامن يتحدث عن حياة الرسول الكريم عليه الصلاة والسلام ودعوته وكل ما يتعلق به منذ ولادته حتى وفاته في أربع عشرة صفحة . وفي الفصل التاسع يتحدث عن القرآن الكريم وتعاليمه وتأثيره في سبع صفحات . بينما في الفصل السابع يتحدث عن « الحجاز قبيل الإسلام » في ست وثلاثين صفحة ، منها عشر

صفحات عن « وثنية البدو » ، فتكون مساحة حديثه عن « الحجاز قبل الاسلام » أكثر من ضعف حديثه عن حياة الرسول الأمين عليه الصلاة والسلام . وحديثه عن « وثنية البدو » فقط أكثر من حديثه عن القرآن الكريم ؛ فما تفسير هذا ؟!

إنه حتى لو كان موضوع هذا الكتاب عن العرب وحدهم أما كان يعتبر ظهور الاسلام من وجهة النظر العربية أكبر حدث شهدته جزيرة العرب والعالم بأسره حتى الآن ، أما كان هذا الموضوع - ظهور الاسلام وأثره - يتطلب أن يشغل مساحة أكبر مما يشغله حديثه عن الجاهلية قبيل الاسلام ؟ وحتى لو اعتبرنا أن جميع المسلمين قد تعربوا ؛ أليس من الضروري كذلك أن يسمى تاريخهم بعد ظهور الاسلام (تاريخ الاسلام) بدلاً من تاريخ العرب ، ما دام هذا الدين لم يقبله كل الناس ، ولم يضع هو في ميزانه حساباً لرابطة قومية . وهل قبله العرب جميعاً ؟ وهل قبلوه لأنهم عرب فقط ؟ ألم يكن أشد أعدائه هم من العرب ؟ فهل نسي (حتي) الأساس العقائدي والروحي والفكري للإسلام ؟ وأنه دين الله إلى البشرية كافة ، دون اعتبار لأي معنى آخر ؟ أو لعله يعتبره مجرد حدث قام به فرد من العرب يحمل فلسفة أرضية معينة ؟ (١) .

فهل يمكن بعد هذا كله الأخذ بكل ما جاء في الكتاب دون مناقشة أو حذر ؟ أو أن يصبح هذا الكتاب من مصادرها الأساسية التي كانت - وربما لاتزال - مقررة في بعض جامعاتنا ؟

(١) يلاحظ كتابه (تاريخ العرب) المطول والموجز (المقدمات

وغريها) .

إن الدكتور فيليب « حتي » وهو مستشار غير رسمي لوزارة الخارجية الأميركية في شؤون الشرق الأوسط (١) ، وإن تظاهر « بالدفاع عن القضايا العربية في أمريكا » (٢) ، إلا أنه على ما يتضح يعتبر الاسلام رجعية ويحاول الانتقاص منه .

والحقيقة أن كثيراً من المستشرقين ينظرون إلى الاسلام بمثل هذه النظرة ، بعضهم أيضاً يعتبرونه العقيدة الوحيدة التي تخيفهم وتواجههم كسد منيع أمام ما يريدون . وهم في كل جهودهم يحاولون تفتيته أو تمييعه . ويعبر عن هذا المعنى المستشرق الفرنسي ماسنيون (٣) في أكثر من موقف يروى عنه ، ولقد كان هذا المستشرق يعمل مع الجيش الفرنسي في لبنان في المكتب الثاني برتبة نقيب . ومن مآثره ما يروى أنه هو الذي أشرف على الاستفتاء في لبنان (بعد الحرب العالمية الاولى ، أيام الاحتلال الفرنسي) فزور هذا الاستفتاء ، حيث كان يوزع الليرات الذهبية لشراء التأييد لما يريد . وما علمنا أنه تغير ، بل إن مواقفه من الاسلام والمسلمين بقيت تنمّ عن الحقد والكراهية .

فكيف يمكن أن يوثق بهذا الرجل وبكتاباته ، أو يوضع هو وأمثاله في عداد الثقات أصحاب التصانيف العلمية ؟



(١) مصطفى السباعي ، الاستشراق والمستشرقون مالهم وما عليهم ، ص ٥٣ .

(٢) المتوفى سنة ١٩٦٢ .

إن أسلافنا الصالحين الذين دونوا تراثنا التاريخي وغيره ،
مهما ذكر عنهم من مآخذ ، قد تكون غير صحيحة أصلاً هم عامة
أصحاب دقة وأسلوب موضوعي وأمانة علمية . وإن ذلك كان جزءاً
من عقيدتهم التي آمنوا بها وعاشوا لها وفي ضوئها . ولقد أعطونا جميع
المواد الخام الموثوق بها ، حتى الروايات الأخرى الضعيفة قد دونوها
لنا . وتركوا لنا واجب دراسة هذه الروايات وتنقيتها وكتابة
تاريخنا على ضوء ما صح منها ؛ بالطريقة وبالأسلوب الذي نريد .
لقد بذل سلفنا الصالح غاية الجهد في جمع التراث ، والمحافظة عليه
وعلينا أن نرد كافة المحاولات التي بذلت للتشويه وطمس معالم
الحقيقة بطغيان الباطل عليها (١) .

والواقع أن الشواهد في هذا المجال كثيرة وكلها تدل على مقدار
التدقيق عند العلماء المسلمين في الرواية ، والتحري الشديد وإلى
أبعد الحدود للوصول إلى الصواب ، والبحث عن الحقيقة ، وسد
كافة النوافذ مهما صغرت والتي يمكن أن يذلف منها الباطل .

إنه لما يؤسف له أننا جعلنا من ماسنيون وأمثاله ، بعد كل
الذي رأيناه - وما لم نره أكبر - أعضاء في مجامعنا العلمية واللغوية،
ودعوناهم إلى جامعاتنا ومعاهدنا لإلقاء المحاضرات ، والبلية أنه
وجد في بلادنا وربما من خريجي المعاهد الدينية ومن أصحاب

(١) راجع : مقدمة ابن خلدون ، ٣٥٠/١ - ٣٦٢ ، ٥ -
٣٩٨ ، ٣ - ٤٠١ ، ٤٠٩ - ٤١١ . حسن عثمان ، منهج البحث
التاريخي ، ص ٣٥ وبعدها ، أسد رستم ، مصطلح التاريخ ،
ص ١٠٠ .

الدراسات الاسلامية الذين يعتبرون من قادة الفكر عندنا من كان
خير قيم على كتابات هؤلاء المستشرقين ، نقلوها لنا (بأمانة)
والبسوها أثواباً مزورة . ومن هؤلاء الدكتور طه حسين ثم الدكتور
احمد أمين وغيرهما (١) ، وكان عليهم أن يكونوا رواداً للفكر الاسلامي
الناصح الرائع .



ثم إن هذا الهجوم على رجال الاسلام وقادته وكياناته اتجه
بثقله إلى قادة الفكر المسلمين والعلماء المنتجين ؛ ولا سيما المؤرخين ؛
فقد قلل الأعداء من شأنهم ، ووجهوا النقد لهم ، ووصموا ما كتبوه
بمختلف الأوصاف ، منها عدم الدقة ، والبعد عن أسلوب البحث
العلمي . فكان أن أورثنا ما كتبه الأعداء الشك في إنتاج مؤرخينا ،
وضعف الثقة به ، ووضعوا موضع التهمة .

ولكن على الرغم من قلة الإمكانيات العلمية في ذلك الوقت ،
كعدم سهولة توفير المصادر ، وصعوبة الحصول عليها وصعوبة
التنقل والاتصال بأهلها - على الرغم من كل ذلك - وجدنا المكتبة
الاسلامية - وجناح التاريخ منها خاصة - غنية ثرية كما وكيفاً ،
وستبقى شامخة رغم كل ما يقال عنها ، فقد امتلأ العالم الاسلامي

(١) راجع : محمد محمد حسين ، الاتجاهات الوطنية في الأدب
المعاصر ، ٢/٢١٩ وبعدها ، وله : حصوننا مهددة من داخلها ، ص
١٦١ ، مصطفى السباعي ، السنة ومكانتها في التشريع الاسلامي ،
ص ٢١٤ ، أبو الحسن الندوي ، الصراع بين الفكرة الاسلامية
والفكرة الغربية ، ص ١٢٣ .

بالمكتبات والمكتبات . وإن الذي كتب باللغة العربية في مختلف العلوم والفنون فيما بين القرنين الثالث والسادس الهجري/التاسع والثاني عشر للميلاد فاق كل ما كتب بأي لسان آخر (١) .

إن الأمانة الكاملة في النقل والإسناد ، والدقة التامة في العرض ، كانت متمثلة في قادة الفكر عندنا ، الذين كانوا أساتذة العلماء الأوروبيين في تلقينهم أسلوب البحث العلمي السليم ، وإلى الأساتذة والعلماء المسلمين يعود ذلك الفضل (٢) .

وهذا لا يمنع أن تكون لهم طريقتهم الخاصة وأسلوبهم المعين الذي يختلف عن غيره ، وأن يوجد في بعض كتاباتهم - أو عند بعضهم - الغث والسمين ، فنحن حتى اليوم وفي كل فترة تخرج علينا نظريات وطرق جديدة في التاريخ ، بعضها صواب وبعضها خطأ ، وكم من قائل : الطريقة الفلانية ، أو النظرة الفلانية ، ومنهج كذا ، مدعياً أن لديه ما هو جديد في هذا الباب ، ولكني أقول من غير تحفظ بأن علماءنا بذلوا أكبر الجهد العلمي ، وكانوا أكثر حرصاً وأمانة في بحوثهم العلمية وفي دقة عرضهم ، وأمانة نقلهم من كثير من العلماء المحدثين ، الذين رأينا من أئمتهم قادة التعصب الذميم ، الذي أدى بهم إلى الاختلاق والتحامل وتجنب الحقيقة وإغماض العيون عنها ، ولا يشفع لهم في ذلك مهما ألبسوا أسلوبهم من ثياب العلم المرقعة وبذل الأكاديمية المهلهلة .



(١) راجع للمؤلف : اندلسيات (المجموعة الأولى) ، ص ١٥٥ .

(٢) المصدر السابق ص ١٧٢ .

مفتريات شاملة

بالاضافة إلى الوسائل التي سلكها أعداء الاسلام للنيل من التاريخ الاسلامي والتي سبق لنا توضيحها فهناك مفتريات كبيرة افترها الأعداء على هذا التاريخ يأتي في مقدمتها الافتراءات التالية :

١ - تفسير دوافع المد الاسلامي وتعليلها وحصرها في ابتغاء المغنم .

٢ - تفسير هذا التاريخ تفسيراً مادياً .

٣ - اتهام الاسلام بأنه انتشر بالسيف .

٤ - التفسير القومي للتاريخ الاسلامي .

وفي هذه المفتريات : (الفنيمة ، والتفسير المادي ، والسيف ، والتفسير القومي) محاولة لاقتلاع مفاهيم التاريخ الاسلامي ، بل فيها أيضاً محاولة لاقتلاع مفاهيم الاسلام وعقيدته .

دافع الفنيمة :

ففي هذا التفسير المفترى إشارة خفية أو جلية إلى سلخ الاسلام من طابع الهداية ونشر النور الإلهي ، وكذلك سلخ المسلمين المجاهدين من الأهداف النبيلة التي قدموا لها أرواحهم وأموالهم ، وكانوا يتسابقون إلى الموت من أجلها ، بل وأيضاً يهدف إلى قطع الدعوة الاسلامية عن السماء واعتبارها ثورة أرضية .

والحقيقة انه ليس هنالك حادثة واحدة على الإطلاق ، تتصل بالاسلام أو نابعة منه ، تذهب بالدارس المنصف هذا المذهب المادي وتؤيد مسألة الغنيمة في هذا التاريخ المشرق .

في أي فصول التاريخ الاسلامي تتمثل الغنيمة ؟

هل تتمثل في المسلمين الأوائل الذين قدموا أموالهم ، بل أرواحهم في سبيل الله ورسوله ؟

أم تتمثل في الأنصار الذين بايعوا بيعة العقبة الكبرى في السنة الثالثة عشرة للبعثة على نهكة الأموال ، وقتل الأشراف ، ولهم بذلك الجنة ؟ (١) .

أم تتمثل في المهاجرين الذين تركوا كل ما يملكون في مكة لقريش ، ولم يستغلوا كرم الأنصار وتضحيتهم لهم ؛ شعوراً بالأخوة التي أنبتها الاسلام في نفوسهم ؟ فكانت المؤاخاة بين الأنصار والمهاجرين ، حيث قدم الأنصار نصف ما يملكون لإخوانهم وكان فرحهم بما يأخذه المهاجرون أكثر منه بما يتركون بل كان فرحهم بما يأخذون وحزنهم لما يتركون .

ثم هل تتمثل في وصف الرسول الكريم عليه الصلاة والسلام للأنصار مخاطباً : « إنكم لتكثرون عند الفرع [الخطر] ، وتقلون عند الطمع [الغنيمة] » (٢) .

وهل تتمثل في البطولات التي أبدتها المسلمون في فتوحاتهم

(١) ابن هشام ، السيرة النبوية ، ٤٤٦/١ .

(٢) المبرد ، الكامل ، ٣/١ .

باحثين عن الموت في سبيل الله استجابة لما رباهم عليه الاسلام ؟
وما أجمل قول (عمير بن الحمام) في معركة بدر (١) :

ركضاً إلى الله بغير زاد
إلاّ التقى وعمل المعاد
والصبر في الله على الجهاد
وكلّ زادٍ عرضة النقاد
غير التقى والبرّ والرشاد

وكم من المسلمين والمسلمات من أصيب بجروح غائرة وطعنات
مميتة ، ومع ذلك بقي مستمراً يحارب العدو ، وكم منهم من قطعت
يده في الحرب ولا يوقفه ذلك عن متابعة جهاده (٢) .

يذكر المؤرخون أن معاذ بن عمرو بن الجموح كان في معركة بدر
قد قطعت يده بعد أن ضرب أبا جهل ؛ يقول معاذ : « ... وضربني
ابنه عكرمة فطرح يدي من عاتقي ، فتعلقت بجلدة من جثتي ،
فقاتلت عامة يومي وإني لأسحبها خلفي ، فلما أذنتني جعلت عليها
رجلي ثم تمطيت حتى طرحتها . » (٣) .

(١) ابن هشام ، السيرة النبوية ، ٦٢٧/١ ، ابن كثير ، البداية
والنهاية ، ٢٧٧/٣ .

(٢) انظر : ابن الأثير ، الكامل ، ١٥٥/٢ ، ١٥٦ ، ابن هشام ،
السيرة النبوية ، ٨٢/٢ .

(٣) ابن الأثير ، الكامل ، ١٢٦/٢ - ١٢٧ ، كذلك : تاريخ
الطبري ٤٥٤/٢ - ٤٥٥ ، ابن هشام ، السيرة النبوية ، ٦٣٤/٢ .

إن الذي يسعى وراء الغنيمة لا يمكنه مطلقاً - وهو أسيرها - أن يبني مجتمع العقيدة - العقيدة الإسلامية - وهؤلاء المغتربون على تاريخ الإسلام لا يفهمون هذا المستوى الرفيع المشرق لأنهم لا يستطيعون الارتقاء إليه ، فهم فقراء في المثل وذلك هو شر أنواع الفقر ، والذي يصاب به « لا يستطيع إطلاقاً أن يرتفع إلى ذلك الأفق السامق البعيد . فضلاً عن الجهل الفاضح بأوليات الشريعة الإسلامية . » (١) .

وحتى لو اعتبرنا كلامهم بريئاً من التعصب والعداء والغرض ، وكان صادراً فقط عن ضيق أفقهم في المثل ولصوقهم بالطين ، فإن ذلك وحده يجعلهم في عجز عن إدراك هذا المستوى الرفيع ، ويقعد بهم عن أن يفهموا هذه الروح العالية من التضحية والفداء . أما المفروضون منهم فإنهم يعرفون حقيقة هذا المستوى ولا يريدون الاعتراف به بل هم يقصدونه ؛ فماذا يقولون فيما يرويه ابن اسحاق عن امرأة من الأنصار وموقفها بعد معركة أحد . يقول : « مر رسول الله ﷺ بامرأة من بني دينار ، وقد أصيب زوجها وأخوها وأبوها مع رسول الله ﷺ بأحد (أي استشهدوا) ، فلما نعاها لها ، قالت : فما فعل رسول الله ﷺ ؟ قالوا : خيراً يا أم فلان هو بحمد الله كما تحبين ، قالت : أرونيه حتى أنظر إليه ، قال : فأشير لها إليه ، حتى إذا رآته قالت : كل مصيبة بعدك جلل ! تريد صغيرة . » (٢) .

(١) سيد قطب ، العدالة الاجتماعية في الإسلام ، ص ١٧٤ .

(٢) ابن هشام ، السيرة النبوية ، ٩٩/٢ ، ابن كثير ، البداية والنهاية ، ٤٧/٤ .

أين من هذا مكان الفنيمة ، يا أيها المتعصبون الأغبياء ، والأعداء
البلهاء (١) .

إذا كانت هذه الاحداث المتمثلة في الافراد والجماعات وخلال
المراحل المختلفة لاتعطي لهم دليلاً على صدق الفكرة والارتباط
بالقيدة ؛ فماذا تقنعهم حتى يقلعوا عن ترهاتهم ، وينصفوا
أنفسهم وعقولهم ؟ أم أنهم لا يريدون الاطلاع على هذه الأمور ،
ويتعامون عنها عن قصد ؟ .

وهكذا باستعراضنا أي حدث أو تصرف في حياة المسلمين
- في السلم والحرب - نجد فيه كل تلك المعاني وغيرها سمواً ونقاء ،
ونزید القاريء فنعرض عليه بعض احداث معركة مؤتة التي وقعت
في جمادى الأولى من السنة الثامنة للهجرة .

كيف رضي المسلمون ، وهم ثلاثة آلاف ، منازل مائة الف
(أو مائتين) من الروم والعرب المنتصرة الذين فاقوا المسلمين عدة
وعُدداً ، وقد علم المسلمون بها مقدماً ؟

إن النفع المادي مهما كان عالياً لا يمكن أن يساوي حياة الانسان،
وأي نفع مادي والموت محقق !؟ وهل يمكن أن يقف أحد هذا الموقف
ويثبت في الميدان طمعاً في مغنم ؟ إن جميع من حضر المعركة من
المسلمين كانوا يتسابقون للموت في سبيل الله . لقد خطبهم عبد الله
ابن رواحة قبل المعركة قائلاً :

(١) انظر : الندوي ، ماذا خسر العالم بانحطاط المسلمين ،
ص ٩٤ - ٩٨ ، فهناك أمثلة عديدة لهذا النوع الرفيع من هذه
القصص .

((. . . وما نقاتل الناس بعدد ولا قوة ولا كثرة ، ما نقاتلهم إلا بهذا الدين الذي اكرمنا الله به . فانطلقوا فانما هي إحدى الحسينين : إما ظهور وإما شهادة)) (١) .

وكان المسلمون قبل الحرب وعندما فصلوا من المدينة يتوقون للشهادة ، ولقد سمي لهم الرسول الكريم ﷺ أكثر من قائد ليتولى اللاحق قيادة المعركة بعد استشهاد السابق . فهل تحس مع ذلك أية روائح لدوافع مادية ؟ أم أن الغاية كانت عندهم إحدى الحسينين ؟

أي ربح مادي جناه جعفر بن أبي طالب قائد جيش المسلمين حين اشتدت المعركة فرمى بنفسه عن فرسه ليقاتل وجعل ينشد :

يا حبذا الجنة واقترابها طيبة وبارداً شرابها
والروم روم قد دنا عذابها كافرة بعيدة انسابها
عليّ إذ لاقيتها ضرابها

واستمر يقاتل حتى قطعت يده ، ولما قتل وجد في جسمه ما يزيد على سبعين ضربة (٢) .

وبعد قتل القادة الثلاثة تبعاً يأخذ الراية خالد بن الوليد ويرتب انسحاب الجيش ببراعة ، ويعود به إلى المدينة المنورة ،

(١) ابن هشام ، السيرة النبوية ، ٣٧٥/٢ . راجع كذلك : تاريخ الطبري ، ٣٧/٣ ، الكامل ٢٣٥/٢ .

(٢) ابن سعد ، الطبقات الكبرى ، ١٢٩/٢ ، ابن كثير ، البداية والنهاية ، ٢٤٥/٤ ، ابن حجر ، الإصابة ، ٢٤٨/١ ، الزركلي ، الأعلام ، ١١٨/٢ .

ولكن رغم كل هذه البطولة وهذه التضحية التي ظهرت منهم ، فما أن يصل الجيش الاسلامي إلى المدينة حتى يتلقاه بعض المسلمين غاضبين وهم يحثون على الجيش التراب ، ويقولون : يا فرار !!! (١)

لماذا ياترى هذا الموقف من أهل المدينة ؟ لأن الجيش لم يجلب لهم ما يروى نهمهم من الغنيمة؟ أم أن الباطل لا يستطيع أن يتصور الأمور الرفيعة ، ولا أن يسمو إلى المدارك العالية ؟ .

لقد كانت جميع تصرفات القادة والخلفاء في كل أعمالهم ، حربية كانت أو غير حربية، تهدف إلى إعلاء كلمة الله والعمل لمرضاته؛ فهم يدركون جيداً تعاليم الاسلام ، ويفهمون نظرياً وعملياً قول الرسول الأمين ﷺ من أن هدف المسلم الأعلى في هذه الأحداث : « من قاتل لتكون كلمة الله هي العليا فهو في سبيل الله » (٢) .

التفسير المادي :

ثم يأتي بعد ذلك موضوع التفسير المادي للتاريخ ، ذلك التفسير المتهاافت الجاهل الذي نبع من فلسفة مادية ضيقة . لكن الشواهد من حياة الأفراد والجماعات خلال التاريخ ، ترد مثل هذا التفسير الضيق وأمثاله، وتعمّيه من حجته كما عرّت الدراسات

(١) السيرة النبوية ، ٢/٣٨٢ . أين هذا مما يحدث في دنيانا ؟ فكم من هزيمة حقيقية قلبت إلى نصر مزور بخطة البليسية ، فصدقها الرعاع ؟

(٢) سنن النسائي ، ٦/٢٣ ، ابن حجر ، فتح الباري ، ٦/٣٦٨ .

النفسية مزاعم « فرويد » حين رد تصرفات الانسان إلى الدوافع الجنسية والذائد الشهوانية (١) .

إن للانسان مشاعره وأحاسيسه وحاجاته المتعددة ، منها المادي ومنها الروحي . وكل تفسير يحصر هذا الانسان ودوافعه في إطار واحد ، أو لا يدرك كل مقومات النفس البشرية روحية وفكرية وحيوية ، ومقومات الحياة البشرية معنوية ومادية يكون تفسيراً خاطئاً (٢) .

ومن هنا كان الرسول ﷺ يكرر التوجيه بأن نعطي كل ذي حقّ حقه ، فلا ننكر وجود هذه الجوانب الجزئية للانسان ، ولكن على ألاّ يطفئ جانب منها على الجوانب الأخرى ، فإن من يقف عند واحد منها يكون قد أدرك شيئاً وغابت عنه أشياء .

إن فهم الانسان من خلال المادة فقط هو في الحقيقة مسخ وإنكار لانسانيته وعدوان كبير على هذه الانسانية . ولقد وصف الله تعالى الكفار بقوله الكريم : « وَالَّذِينَ كَفَرُوا يَتَمَتَّعُونَ وَيَأْكُلُونَ كَمَا تَأْكُلُ الْأَنْعَامُ وَالنَّارُ مَثْوًى لَّهُمْ » (٣) .

ولكن اصحاب التفسير المادي للتاريخ لا يرون إلا من خلال نظرتهم المادية للانسان ، ولا يفسرون تصرفاته إلا من خلال مبادئهم ،

(١) راجع : محمد قطب ، الإنسان بين المادية والاسلام ص ٣٢ - ٤٠ ، ٢١٣ - ٢١٦ .

(٢) انظر : سيد قطب ، في التاريخ فكرة ومنهاج ، ص ٣٧ وبعدها .

(٣) الآية ١٢ من سورة محمد .

ولذلك نراهم فرضوا مبادئهم بالقوة على الشعوب ، والغوا جوانب الانسان واعتباراته الأخرى النفسية والروحية والعقلية ، لأن إلقاءها في صالحهم وذلك ليدوم لهم تسلطهم على الإنسانية المعزز بقوة الدبابة وإرهاب السلاح ، ولو خلّوا بين الناس وبين هذه المبادئ لدفتت مع أصحابها .

أما الاسلام فلا يعوزه أن ينتشر سوى أن يخلّى بينه وبين الناس . ومن هنا كان قتال الملوك والأمراء في الفتوحات الاسلامية . لقد كان لإزالة العوائق التي تمنع الناس من استعمال عقولهم وتحول بينهم وبين ما يختارون لأنفسهم .

إن المبادئ المتعفنة - شرقية أو غربية - لا تنتج إلا ما يماثلها من الأمور القذرة ، أما العقيدة السمحة فلا تنتج إلا المبادئ الشريفة والمثل الرفيعة ، والسلوك النظيف .

ونود هنا أن نوجه لأصحاب التفسير المادي هذا السؤال وهو : أيّ تغير اقتصادي وأي نهضة أو ثورة صناعية أو غير صناعية قامت في الجزيرة العربية وفي مكة بالذات فأدت إلى ظهور الاسلام ؟ وهل كان الاسلام وامتداده استجابة لتلك الضرورة الاقتصادية ونتيجة لما جد من مهيّاتها؟ (١) .

فيوم ارتفع صوت الرسول الكريم عليه الصلاة والسلام حاملاً بيده مشعل النور ، منادياً بالناس أن يتبعوه ويسيروا على هديّه ، كانت البشرية بكليتها وبكافة ظروفها وإمكاناتها ضده ،

(١) انظر : محمد قطب ، الانسان بين المادية والاسلام ، ص ٧٣ - ٧٩ .

لكنه صبر صبراً جميلاً حتى شق الطريق لدعوته وسط جيل
قست عقولهم حتى صارت كالحجارة أو أشد قسوة » وَإِنَّ مِنْ
الْحِجَابَةِ لَمَا يَتَفَجَّرُ مِنْهُ الْأَنْهَارُ (١) .

كانت الصعوبات التي لاقاها الاسلام في الدعوة كبيرة جداً ،
وفي مقدمتها مقاومة المشركين العنيدة ، ومع ذلك فقد بقي المسلمون
خلال فترة طويلة صابرين على ذلك ، معتزين بأصالة الدعوة ووضوحها
وإشراقها ، وقيامها على الجدية والصدق والأمانة والشرف ،
مستلهمين من طاقة التحمل الكبيرة عند الداعية الأول ﷺ . وإن
دعوة الاسلام بقوتها العقيدية وسموها انتشرت بعد ذلك بسرعة
واستمرت ، وستبقى - بعون الله - إلى أن يرث الله الأرض ومن
عليها .

فهل كان ذلك بدافع مادي أو نفع اقتصادي ؟ أم العكس ؟
لقد كان المسلمون يحافظون على إسلامهم ويلتزمون به طوعاً .
وكان فرحهم بمقدار استجابتهم لأوامر الله ، وكانت سعادتهم بطاعتهم
الله ، واطمئنان قلوبهم بذكره والتعبد له . كانوا يبذلون - ونفوسهم
مستبشرة - كل ما يملكون دون انتظار لنفع مادي . ويوم كانت
الدعوة الاسلامية مطاردة وأتباعها قليلين لم يكن هناك أي إغراءات
أو منافع مادية أو غيرها . وأين هذا مما نرى في الاتجاهات المعاصرة
التي تفتقر إلى المقومات الانسانية الكريمة الشريفة والاسس الحيوية
الطاهرة النظيفة . فهي تنتشر وتسود بالإغراء وبالقوة . وهي -
بعضها ، أو كلها في النهاية - ذات تفسيرات اقتصادية . ورغم أن

(١) الآية ٧٤ من سورة البقرة .

السلطة بيدها فإنها تعاني دائماً قلة في الأتباع ولا يجتمع حولها الناس إلا بدافع المنافع ، ولا تحافظ على كيانها إلا بالسلاح والنار .

ولذلك يمكننا أن نقول وبدون أدنى تحفظ بأن الاسلام لم تكن له اي عوامل اقتصادية أدت إلى ظهوره أو انتشاره . والحقيقة أن ارتباط ظهور الاسلام بالتفسير المادي يلغي عنه صفته الإلهية وطبيعته الربانية ، وفي هذا قضاء عليه .

لم تكن للفتوحات الاسلامية أية دوافع اقتصادية ، وإن كنا لا ننكر تأثير الجوانب الاقتصادية على البشر أفراداً وجماعات . ولكن ما أكثر التصرفات الفردية والجماعية في حياتنا العادية التي تكون خالية من دوافع اقتصادية . فإذا كان للجانب الاقتصادي أثر على حياة الإنسان ؛ فلا يعني هذا أن كل تصرفاته محكومة به ، وصادرة عنه .

أي تفسيرات مادية وراء تصرف ذلك الرجل الذي اشترك في حرب المسلمين ضد الفرس في معركة المدائن ، وجاء بعد المعركة « بِحَقِّ مَلِيءٍ بِقُطْعِ الذَّهَبِ ، فدفعه إلى صاحب الأقباض ، فقال الذين هناك : ما رأينا مثل هذا قط ، ما يعدله ما عندنا ولا يقاربه ، فقالوا : هل أخذت منه شيئاً ؟ فقال : أما والله لولا الله ما أتيتكم به ، فعفرُوا أن للرجل شأنًا ، فقالوا من أنت ؟ فقال لا والله لا أخبركم لتحمدوني ، ولا غيركم ليقرظوني ، ولكنني أحمد الله وأرضى بثوابه . فأتبعوه رجلاً حتى انتهى إلى أصحابه ، فسأل عنه ، فإذا هو عامر بن عبد قيس . » (١)

(١) الطبري ، تاريخ الرسل والملوك ، ١٩/٤ .

وما هو التفسير المادي أو الدافع الاقتصادي وراء الصورة الرائعة في فتح المدائن أيضاً ؟ حيث عبر المسلمون إليها نهر دجلة في وقت فيضانه ، الأمر الذي يستصعبه ويخافه السباحون الماهرون ، ولا يخلو بالنسبة لهم من مغامرة قد تكون خاسرة . فكيف بهذه الصورة الرائعة التي ترسمها قوة الإيمان عند المسلمين ، ولم يكونوا قد مارسوا أفانين السباحة ، وما كانت لهم بها خبرة ؟ لقد كان ذلك بإيمانهم بالاسلام وحده ، مبتغين بذلك رضا الله .

أروي هذه القصة (بتصرف) من كتب : البداية والنهاية لابن كثير ، والكامل في التاريخ لابن الأثير ، وتاريخ الرسل والملوك لابن جرير الطبري (١) .

لما أراد المسلمون بقيادة سعد بن أبي وقاص ، عبور دجلة إلى المدائن ، تعذر عليهم حصولهم على سفن . وكانت دجلة قد زادت زيادة عظيمة واسود ماؤها ، ورمّت بالزبد من كثرة الماء بها . فندب سعد المسلمين وعزم على عبور النهر على ظهور الجياد ! فأجابوه جميعاً : عزم الله لنا ولك على الرشيد فافعل . فانتدب ستمائة فارس وأمر عليهم عاصم بن عمرو ، فوقفوا على حافة النهر . ثم كانت الطليعة الأولى ستين فارساً . وابتدأ العبور بتلاوة قوله تعالى : « وَمَا كَانَ لِنَفْسٍ أَنْ تَمُوتَ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ كَتَبْنَا مُؤَجَّلَاتِهَا » (٢) . ثم لحق بقية الستمائة ، وتبعهم سعد بباقي الجند

(١) ابن كثير ، ٦٤/٧ - ٦٥ ؛ ابن الأثير ، ٥١١/٢ - ٥١٣ ؛ الطبري ، ٨/٤ .

(٢) الآية ١٤٥ من سورة آل عمران .

وطلب منهم أن يقولوا عند دخول الماء : « نستعين بالله ونتوكل عليه . حسبنا الله ونعم الوكيل ، ولا قوة إلا بالله العلي العظيم . » ثم اقتحم بفروسه دجلة واقتحم الناس لم يتخلف منهم أحد . فساروا في النهر كأنما يسرون على وجه الأرض ، حتى ملأوا ما بين الجانبين فلا يرى وجه الماء من الفرسان والرجالة . وكان المسلمون يتحدثون على وجه الماء كما يتحدثون على وجه الأرض ، وذلك لما حصل لهم من الطمأنينة والأمن والثوق بأمر الله ووعده ونصره وتأنيده . وعبروا النهر دون أن يفقدوا أحداً أو متاعاً ، غير قدح من خشب ! (١)

وكان سعد حين العبور يقول : « حسبنا الله ونعم الوكيل والله لينصرنَّ الله وليه ، وليظهرنَّ الله دينه ، وليهزمَّنَّ الله عدوه ، إن لم يكن في الجيش بغي أو ذنوب تغلب الحسنات . » (٢) وكان الفرس يقفون في الجانب الآخر من النهر ، فلمَّا رأى الفرس المسلمين يطفون على وجه الماء قالوا (متعجبين) : ديوانا ديوانا ، أي : مجانيين مجانيين .

ثم قال الفرس : والله ما تقاتلون إنساً بل تقاتلون رجناً . إن حياة المسلمين كلها أمثلة من هذا النوع الرفيع السامي الفريد ، وكان كل همهم نصرة هذا الدين .

(١) ابن كثير ، ٦٥/٧ .

(٢) الطبري ، ١٢/٤ .

وكان الجنود كقاداتهم ممثلين بالاسلام ، يتسابقون هم وقاداتهم في الحرب الى الشهادة ، لا يهمهم شيء من عرض الدنيا ولا يحرصون أن يدعوا ميراثاً يورثونه . فهذا خالد بن الوليد القائد الكبير الذي قاد المعارك الكثيرة لم يكن يملك حين وفاته « إلا فرسه وغلّامه وسلاحه » (١) . وكان قبل وفاته قد « أوصى أن يجعل سلاحه وفرسه عدةً في سبيل الله » (٢) .

لقد كان المسلمون بشراً من نوع جديد لم يألفه الناس . وانظر حين سأل هرقل ملك الروم رجلاً من قومه كان قد أسره المسلمون ، فأقلت ، سأله هرقل عن المسلمين قائلاً : « أخبرني عن هؤلاء القوم فقال : أحدثك كأنك تنظر إليهم : هم فرسان بالنهار ، رهبان بالليل ، ما يأكلون في ذمتهم إلا بثمر ، ولا يدخلون إلا بسلام ، يقفون على من حاربهم حتى يأتوا عليه . فقال (هرقل) : لئن صدقتني ليرثون ما تحت قدمي هاتين » (٣) .

لقد كان المسلمون في جميع معاركهم أقل عدداً وعدة ، ولكن النصر كان دائماً حليفهم ، كانوا يستهينون بكل القوى المادية المقابلة ، وكان أحدهم يطلب الموت ويعتبر ذلك أعظم الربح . فكانوا كما وصفوا : بالنهار فرساناً وبالليل رهباناً . يترجمون بأعمالهم قول رسول الله ﷺ : « ... رهبانية أمتي الجهاد في سبيل الله » .

(١) ابن كثير ، ١١٧/٧ .

(٢) ابن كثير ، ١١٦/٧ .

(٣) الطبري ، ٦٠٢/٣ - ٦٠٣ ، ابن كثير ، ٥٣/٧ .

فكيف إذاً تنطبق تلك التفسيرات المادية على انطلاق المسلمين في حمل دينهم ونشره ، باذلين كل ما يملكون ، مفضلين الموت على الحياة في سبيل نصرته . وهم « قوم الموت أحب إلي أحدهم من الحياة » .

ثم ما هي الحاجات والدوافع المادية التي غيرت مفاهيم العرب وغيرهم ممن دخل في الاسلام ، وجعلتهم خلقاً آخر جديداً يعافون كل ما كانت عليه الجاهلية من فواحش وآثام ، واستبدلوها بالمعاني الاسلامية الخيرة . وإلى القارئ هذه الكلمات المعبرة لرجل عاش الجاهلية ، وعرف قدارتها ، ثم دخل الاسلام حينما رأى نوره ، ذلكم هو جعفر بن أبي طالب الملقب بالطيار ، وكان مع من هاجر من المسلمين إلى الحبشة ، فلما أرسلت قريش رسلها تحرض النجاشي ليعيد المسلمين إليها ، استدعاهم وسألهم عن دينهم ، فقال له جعفر (١) :

« أيها الملك ، إنا كنا قوماً أهل جاهلية ، نعبد الأصنام ، ونأكل الميتة ، ونأتي الفواحش ، ونقطع الأرحام ، ونسيء الجوار ، ويأكل القوي منا الضعيف ، فكنا على ذلك ، حتى بعث الله إلينا

(١) رواية عن أم سلمة زوج رسول الله ﷺ « قال ابن اسحاق: حدثني محمد بن مسلم الزهري عن أبي بكر بن عبد الرحمن ابن الحارث بن هشام المخزومي ، عن أم سلمة بنت أبي أمية بن المغيرة زوج رسول الله ﷺ ، قالت : لما نزلنا أرض الحبشة . . . » . ابن هشام ، السيرة النبوية ١/٣٣٤ . انظر كذلك : ابن الأثير ، الكامل . ٨٠/٢

رسولاً منا ، نعرف نسبه وصدقته ، وأمانته وعفافه ، فدعانا إلى الله لنوحده ونعبده ، ونخلع ما كنا نعبد وآباؤنا من دونه ، من الحجارة والأوثان ، وأمرنا بصدق الحديث ، وأداء الأمانة ، وصلة الرحم ، وحسن الجوار ، والكف عن المحارم والدماء ، ونهانا عن الفواحش ، وقول الزور ، وأكل مال اليتيم ، وقذف المحصنات ، وأمرنا أن نعبد الله وحده لا نشارك به شيئاً ، وأمرنا بالصلاة والزكاة والصيام ... » (١) .

بم تفسر كل هذه الأمثلة المتوفرة في تاريخ الاسلام ؟ ولم تهمل مثل هذه الأمثلة ويضرب صفحاً عن إيرادها ؟

والحقيقة أن اعتبار العامل الاقتصادي والبحث عن الفنائم كان سبباً في ظهور الاسلام وانتشاره يقصد به نزع الصفة الإلهية عن الاسلام وتشويهه وإضعافه في نفوس المسلمين ؛ ثم القضاء عليه بعد ذلك والإشارة إلى أنه لم يكن إلا موجة كاحدى موجات الفتوح التي انتهى دورها. ثم إن هذه الفكرة تجرهم إلى فكرة أخرى مرتبطة بها وهي القول بأن الدعوة الاسلامية قد أدت دورها واستنفدت أغراضها !! لقد كان لهذه الأفكار الباطلة خطورة في حياة المسلمين ، فقد أنتجت - من جملة ما أنتجت - جيلاً من ذراري المسلمين لا يثق بترائه ، جيلاً مستغرباً ، قام في أمته بالمهمة التي يريدونها المستشرقون وزيادة .

بل أصبحنا نسمع أصوات العبيد والبيغاوات ترتفع بالظعن

(١) ابن هشام ، السيرة النبوية ، ٣٣٦/١ .

والتشكيك بكل مورثات الاسلام وعقائده ، وبال دعوة إلى اطراحه (١) .
ومن هنا تسربت مشارب وارتفعت شعارات لأولئك المفلسين الذين
يهتفون في بعض مظاهراتهم متخذين من هذا أو ذاك هداة ومثلاً !
فلماذا نهتف باسم شرقي أو غربي ولا نفتخر بسعد وطارق وصلاح
الدين وأترابهم ؟ (٢) .

إن الذي قلته لا يعني أن نهمل ما كتبه المستشرقون وغيرهم ،
بل علينا أن ننتفع بالانتاج النصف المفيد ، وحتى غير النصف ممكن
أن نجني منه نفعاً ، فقد يدفعنا إلى البحث والتنقيب لمعرفة إنتاجنا
وحقائقه (٣) . ولكن يجب أن يعتمد المسلمون على أنفسهم في ذلك .

(١) راجع : القرضاوي ، درس النكبة الثانية ، ص ٢٧ ،
المنجد ، اعمدة النكبة ، ص ٣٥ وبعدها .
(٢) قارن : الندوي ، الصراع بين الفكرة الاسلامية والفكرة
الغربية ، ص ٢٠٤ .

(٣) ومثل هذا يقال أيضاً في أمور ، كالحالة السياسية
التي نعيشها . فاننا نطالب ونرجو فلاناً وعلاناً ونستجدي الشرق
والغرب لينصفونا من عدونا ويحلوا مشاكلنا (وهم وراءها) ،
ونرمي بكل ثقلنا في هذا الاتجاه . ألا إنه موقف الدليل الضعيف ،
والشواهد في التاريخ - القريب والبعيد - كثيرة ومعروفة .

إذا أردنا حقوقنا وعزتنا فلا يمكن الحصول عليها إلا بأنفسنا
بعد التوكل على الله تعالى ، والأخذ بشرعه ؛ وإلا فالضياع ، ولانكون
إلا غنيمة للأطراف بكافتها حتى الوسيطة . وما لا نستطيع نحن
الحصول عليه لا يهيننا إياه أحد .

وقد آن الاوان لكي نكتب تاريخنا وحضارتنا بأيدينا ونقدمه للآخرين
فيقرؤه المستشرقون وغيرهم ، ويرون افتراءاتهم عليه .

انتشار الاسلام بالسيف :

أما هذه الفرية الظالمة وهي أن الاسلام انتشر بالسيف (١) ،
فإن جميع الأحداث التاريخية وكافة التعاليم الاسلامية تكذبها
وترفضها . ولقد تحدث عن تسامح المسلمين كثير من غير المسلمين
وأشادوا به (٢) وحتى من لم يمتلك حسن النية تجاههم (٣) ، وما سمعنا
في التاريخ ان شخصاً ما اسلم بالإكراه علماً بأن المسلمين كانت
لهم الغلبة في الحروب والفتوح وهم أصحاب السلطان ، فما شكا
منهم أحد في معاملة أو سلوك « **الَّذِينَ إِنْ مَكَّنَّاهُمْ فِي الْأَرْضِ
أَقَامُوا الصَّلَاةَ وَآتَوُا الزَّكَاةَ وَأَمَرُوا بِالْمَعْرُوفِ وَنَهَوْا عَنِ الْمُنْكَرِ** وَلِلَّهِ عَاقِبَةُ
الْأُمُورِ » (٤) .

إن هذا الخلق النبيل في معاملة المسلمين لغيرهم نابع من طبيعة
الاسلام ومن سعة أفقه وقوة عقيدته وسماحة مبادئه ، ويمكن القول
إن تسامح العقيدة والمبدأ يسير طردياً مع سعة أفقها وقوتها ،

(١) انظر مثلاً : خالدي وفروخ ، التبشير والاستعمار ، ص ٤١ .

(٢) راجع للمؤلف : أندلسيات (المجموعة الثانية) ، ص ٢٢
وبعدها ، ٥٩ .

(٣) برنارد لويس ، العرب والشرق الأوسط ، ص ٨٣ .

(٤) الآية ٤١ من سورة الحج .

ولذلك فاق الاسلام كل ما عده ، وبالنسبة للأديان السابقة فقد اعترف الاسلام بكتبها كما أنزلها الله تعالى ، وبأنبيائها ورسولها عليهم الصلاة والسلام ، بل لقد جعل صحة إسلام المسلم لا تتم إلا إذا آمن بسائر النبيين ولم يفرق بين أحد منهم .

نعم لقد وجد السيف في موجة المد الاسلامي ، ولكن كان لرد المعتدين والمحافظة على الدولة الاسلامية وعلى المسلمين ، كما كان لإزالة العقبات التي تقف في طريق الدعوة الاسلامية . وفي الوقت الذي تؤكد نصوص القرآن العظيم وأحاديث الرسول الكريم عليه الصلاة والسلام استنكار الإكراه على العقيدة والنهي عن إجبار الناس على الاسلام ؛ فانها تحت « على تحطيم القوى السياسية المادية التي تحول بين الناس وبينه ؛ والتي تعبدُ الناس للناس وتمنعهم من العبودية لله . . . وهما أمران لاعلاقة بينهما ولا مجال للالتباس فيهما » (١) .

فلم يكن السيف إذا يوماً ما لاجبار الناس على الدين ، وإلا فماذا نقول عن بلاد واسعة جداً لم يصلها الفاتحون ولم يطأ أرضها حافر لفرس مجاهد ، وإن عدد المسلمين فيها حتى اليوم يفوق عدد المسلمين الذين يعيشون في بلدان حمل الفاتحون إليها الاسلام !!

إن جميع النصوص القرآنية والنبوية تتظاهر في تأكيد هذه المعاني ، والمسلمون لا يكونون مسلمين إلا بتطبيقها . ويتأكد عمق إسلامهم بمقدار تطبيق هذه النصوص وإحالتها إلى واقع عملي ،

(١) سيد قطب ، في ظلال القرآن ، ١٦٩/٩ .

وهذا يعني أن التزامهم بها أصل من عقيدتهم وأن تسامحهم مع الناس وترك الحرية لهم جزء من تلك العقيدة . بل إن كل أعمال الحياة ومناشطها بالنسبة للإسلام يكون الاخلاص فيها واثقانها جزءاً من هذه العقيدة ، وبذلك يرضي المسلم ربه وتنسجم تصرفاته مع عقيدته وتزكو تابعيته لهذا الدين .

لقد كان التسامح الاسلامي مثالياً جداً لا يمكن أن يصدر عن قوم غير المسلمين وعن دين غير الاسلام ، وإلى القارئ الكريم هذه الصورة التي أثمرها هذا التسامح :

« لما بلغ الجيش الاسلامي وادي الاردن وعسكر أبو عبيدة في فحل ، كتب الأهالي النصارى إلى المسلمين يقولون : (يا معشر المسلمين ، أنتم أحب إلينا من الروم ، وإن كانوا على ديننا ، أنتم أوفى لنا وأراف بنا وأكف عن ظلمنا وأحسن ولاية علينا . ولكنهم غلبونا على أمرنا وعلى منازلنا » . « وأغلق أهل حمص أبواب مدينتهم دون جيش هرقل ، وأبلغوا المسلمين أن ولايتهم وعدلهم أحب إليهم من ظلم الاغريق وتعسفهم . » (١) .



إن فرية انتشار الاسلام بالسيف تتهم الاسلام بأنه لم يكن فيه من المبادئ ما يجتذب الناس إليه لذا فهم لم يقبلوه عن طوعية واقتناع . ولكن كيف إذا بقي الناس مسلمين ؟ وحتى حين شنت الحرب ضدهم كمسلمين وفي بعض البقاع لفترات طويلة ؟ إن أية

(١) توماس ارنولد ، الدعوة إلى الاسلام ، ص ٧٣ .

دعوة أخرى أو فلسفة أو حضارة لو لاقت جزءاً مما لاقاه الاسلام في عقيدته وبنيه من حملات متعددة الوسائل والاتجاهات وحرب شاملة ، ما كانت لتبقى أبداً ، ولكن موضعها الآن في بطون التاريخ لافي دنيا الناس .

التفسير القومي :

ثم نأتي بعد ذلك إلى التفسير القومي للتاريخ الاسلامي على أساس أنه تاريخ العرب ، أو هو جزء من هذا التاريخ . وليس على أساس أن العرب الذين أسلموا جزء فيه ، وهم إحدى القوميات التي اعتنقته واتخذته لها الهدف الأسمى والغاية العليا .

لقد كان من نتائج هذا الاتجاه أن عرّب أصحابه الانتاج الاسلامي الحضاري كما عربوا تاريخه . ولعلها محاولة لتعريب الاسلام ثم إلى تعطيله !؟ وعلى هذا الأساس أعطي للمسائل ذات الطابع الاسلامي طابع العروبة . وهكذا وجدنا مثلاً سلسلة تراجم لمشاهير المسلمين كان منهم : ابن جرير الطبري ، والظاهر بيبرس ، وصلاح الدين ، وغيرهم وهم ليسوا عرباً ، تسمى سلسلة «أعلام العرب» (١) . اليس من الصواب أن يطلق على هذه السلسلة «أعلام الاسلام» . ثم رأينا كتاباً آخر يخرج بعنوان « محمد والقومية العربية » (٢) فيالله هل كان سيدنا محمد ﷺ داعية قومية ؟

(١) تصدرها المؤسسة المصرية العامة للتأليف والانباء والنشر (الدار المصرية للتأليف والترجمة) .

(٢) من سلسلة « مع العرب » رقم ١ ، التي تصدرها مؤسسة المطبوعات الحديثة (القاهرة) ، من تأليف الدكتور علي حسني الخربوطلي .

لو أن الأجناس الأخرى التي اشتركت في حمل أمانة الاسلام وشاركت في إنتاجه ، حاولت هي الأخرى تفسير الاسلام على اساس من قوميتها ، فما الذي سيحدث ، وماذا يبقى من الاسلام المنزل من عند الله ؟!

ثم اليس في إعطاء صفة قومية للاسلام حصر لافق هذا الدين ، وانتحال لأمور ، وتحريف لأخرى ؟ اليس ذلك هو نفسه قد يؤدي إلى نزع صفة الإلهية عنه ؟ كما هو إلغاء لعموميته وعالميته وجعله كآية حركة أرضية قام بها رجل وقد يأتي يوم ينتهي فيه فعاليتها وينقضي دورها !!

إن هذا كله مخالفة صريحة لكل النصوص الاسلامية ولكل تصرفات المسلمين وواقع تاريخهم . ولو كان الاسلام حركة قومية (١) ، كيف كان سينضم إليه غير العرب وهم حتى يومنا هذا أكثر عدداً من المسلمين العرب ، وربما أكثر تديناً من بعضهم وحرصاً على الاسلام ومصالحته ، ولماذا إذاً لاقى الاسلام في عهده المكي والمدني شر أنواع الحرب المبيدة ، وعلى يد من ؟ على يد العرب !!

إننا حين نتحدث في هذا الجانب لابد لنا من ملاحظة أمور ثلاثة والتميز بينها (٢) :

(١) سيد قطب ، معالم في الطريق ، ص ٣٢ ، الندوي ، ماذا خسر العالم بانحطاط المسلمين ، ص ٨١ .

(٢) راجع أيضاً للمؤلف : أندلسيات (المجموعة الثانية ص ١٥ - ١٨) .

أولاً : إن القرآن الكريم - دستور الاسلام - نزل باللغة العربية في مكة المكرمة على سيدنا محمد ﷺ وهو عربي . وطبيعي أن يكون أتباعه ممن حوله هم العرب إلا قليلاً منهم . لذلك كان الصحابة الكرام الذين حملوا هذا الدين أولاً وجاهدوا في سبيله وضحووا من أجله كان أكثرهم عرباً . هذا هو الأمر المعقول ، وغيره هو الذي لا يعقله أحد ، ولو أن رسول الله ﷺ ظهر في قوم آخرين ، لكان أكثر أتباعه بادية الأمر أولئك القوم ، ولكن هل كان لقريش أن تفتخر بقرشيتها لأن الرسول ﷺ منهم ، وهم الذين أرادوا قتله والتخلص منه ؟ أو هل يفخر أهل المدينة المنورة بمدينتهم لأنه ﷺ هاجر إليها ، دون ارتباط ذلك بالاسلام ؟ أم أنهم يفخرون بالرسول الأمين عليه الصلاة والسلام الذي حمل إليهم الاسلام فسارعوا لتبليته ؟

لقد عرض رسول الله ﷺ نفسه على القبائل العديدة خلال المواسم ، وكان يبحث عن يستجيب لهذه الدعوة الكريمة استجابة مجردة عن كل نفع ، يخلص لها ويضحى من أجلها ولا يبتغي بها عرضاً ، ما يبتغي إلا مرضاة الله تعالى وما يرجو إلا رحمته وفضله ، فاستجاب له الأنصار ملين نداء الحق والخير ، وهم معترفون بأن كل الفضل والمنة في ذلك لله تعالى ولرسوله ، وليس العكس (١) . فالشرف بالنسبة للعرب مصدره الاسلام وحده ، ولذلك فضل المسلمون (الأوائل) - غير العرب - أعلا البيوتات العربية بعد اسلام أهلها المتأخر .

(١) وقد وضحووا هذا المعنى بأصرح بيان حين خطبهم الرسول ﷺ في مكة بعد حملة الفتح . ابن هشام ، السيرة النبوية ، ٢/٤٩٩

ومن هنا أيضاً نلاحظ أنه يوم انتشر الاسلام أصبح الشرف
— بين العرب أنفسهم — لمن سارع للالتحاق به ، والعار لمن فارقه
وعاداه ، والخجل والتندم لمن تأخر عنه ، كان الذين تأخر اسلامهم
وحاربوا النبي ﷺ من قبل يسارعون إلى نصرته ويتنافسون في ذلك
ليعوضوا عما فاتهم بتأخرهم عن السابقين إليه . وغدا سبق
للإسلام ميزة ما بعدها ميزة . وكان التمايز والاعتزاز بالاسلام
وحده ، وبه امتاز المهاجرون والأنصار على غيرهم من الذين دخلوا
الاسلام بعدهم ، حتى العطايا (الرواتب) كانت على أساس
« السابقة في الاسلام لا على الأحساب » (١) . أما من بقي على كفره
ومات عليه ففداً مردولاً حقيراً لا قيمة له أبداً .

إننا نتساءل : هل كانت العروبة حائلاً للعرب — قرييهم
وبعيدهم — عن حرب الرسول الكريم عليه الصلاة والسلام ؟ وبم
نفسر مواقف قريش العدائية وحروب الردة ومواقف الغساسنة
والمناذرة وكلها كانت ضد دعوة الاسلام ؟ وهل من فرق بين مواقف
هؤلاء ومواقف اليهود في المدينة المنورة وخارجها ؟ ألم تتعاون قريش
مع اليهود في الأعداد لحرب الاستئصال للمسلمين ، وساقوا الأحزاب
من أجل ذلك إلى المدينة المنورة .

إن انضمام العرب إلى هذه الدعوة لم يكن على أساس قومي
ولا علاقة له مطلقاً بعرقية معينة . بل إن من أوائل المسلمين من كان
غير عربي كبلال الحبشي الذي أصبح — وكان عبداً — بالاسلام أفضل

(١) تاريخ الطبري ، ٦١٣/٣ .

من أبي سفيان سيد قريش حتى بعد اسلامه ، وكان عمر بن الخطاب يقول : « أبو بكر سيدنا وأعتق سيدنا » (١) ، ويريد به (بلالا) كما أن الرسول الكريم عليه الصلاة والسلام كان يقول لفارسي تداولته الأيدي بالاسترقاق والسخرة : « سلمان منا أهل البيت » (٢) وحين كان الرجل يأتي مسلماً لم يكن النبي ﷺ يسأله عن هويته الشخصية لمعرفة جنسه أو نسبه أو أي شيء آخر ؛ ما كان يهمه غير صدق انتمائه إلى هذا الدين ، كان النسب الذي يعتز به الجميع هو الاسلام .

أبي الاسلام لا أب لي سواه
إذا افتخروا بقبس أو تميم

و « لما قدم عمر الشام عرضت له مخاضة فنزل عن بعيره ، ونزع موقيه (٣) فأمسكها بيده وخاض الماء وهو يجر بعيره ، فقال له أبو عبيدة : قد صنعت اليوم صنيعاً عظيماً عند أهل الأرض ، صنعت كذا وكذا ! قال : فصك في صدره وقال : لو غيرك يقول هذا يا أبا عبيدة ! إنكم كنتم أذل الناس ، وأحقر الناس ، وأقل الناس ، فأعزكم الله بالاسلام ، فمهما تطلبوا العز بغيره يذلكم الله » (٤) .

(١) ابن كثير ، البداية والنهاية ، ١٠٢/٧ .

(٢) ابن سعد ، الطبقات الكبرى ، ٨٣/٤ ، ٣١٩/٧ وذلك لأنه عليه الصلاة والسلام تسبب في عتقه ، على قاعدة « مولى القوم منهم » .

(٣) الموق : خف غليظ .

(٤) ابن كثير ، البداية والنهاية ، ٦٠/٧ .

وحين حمل هؤلاء الاسلام إلى البلدان الأخرى دخل فيه غير العرب ، وكانوا أيضاً متحمسين له فحملوه وضحوا من أجله . وإن أول جيش مسلم عبر إلى الأندلس وتعداده سبعة آلاف ، كان هو وقائده طارق بن زياد كلهم من البربر ، عدا حوالي ٣٠ عربياً كانوا مع الجيش لتفقيهم (١) لأن البربر كانوا حديثي عهد بالاسلام وبحاجة لذلك ، وكان الجميع يلهجون بالحمد والمنة لله الذي هداه لهذا الدين ويقولون : « الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي هَدَانَا لِهَذَا وَمَا كُنَّا لِنَهْتَدِيَ لَوْلَا أَنْ هَدَانَا اللَّهُ » (٢) .

ولو كانت في دعوة الاسلام اية رائحة لقومية لما قبل عليه أصحاب القوميات الأخرى مثل هذا الاقبال ، بل لما التحقوا به ولما صهروا جميعاً في بوتقة الاسلام الذي غدا الرابط الوحيد . وكان ذلك واضحاً من أول يوم ظهرت فيه دعوة الاسلام . وإلا فهل ينضوي تحت لواء قومي أحد من خارج تلك القومية ؟ ولماذا إذن لم ينضو تحت لواء الاسلام كل العرب حتى الآن ، وانضوى غير العرب وهم أكثر المسلمين اليوم ؟

لقد كان من قوم الرسول عليه الصلاة والسلام من حارب هذا الدين ، وقاد كبر الحرب الشعواء التي شنت ضده ، والتي كانت تهدف إلى القضاء عليه وعلى رجاله قضاء مبرماً . إن أبسا جهل حين ضرب في معركة بدر ، وكان في الرمح الأخير ، كان أهم

(١) انظر : فروخ ، العرب والاسلام ، ص ٨٣ .

(٢) الآية ٤٣ من سورة الاعراف .

ما يشغل باله - وهو في تلك الحال - أن تنتصر قريش . ولما مر به عبد الله بن مسعود «حين أمر رسول الله ﷺ أن يلتمس في القتلى... قال عبد الله بن مسعود : فوجدته بآخر رمقه... قال [أبو جهل] : أخبرني لمن الدائرة اليوم ؟ قلت : لله ولرسوله . » (١) .

لقد لاقى الاسلام طيلة حياة الرسول الأمين عليه الصلاة والسلام من العنت والإرهاق والاضطهاد والارهاب على أيدي العرب مالم يلاق على أيدي غيرهم .

ثانياً : إن اللغة العربية -وهي اللغة التي كتب بها أكثر التراث الاسلامي وإنتاجه الفكري - لم يكن ذلك لأنها مرتبطة بجنس أو قومية ، بل لأنها لغة القرآن الكريم التي أنزل بها . ولذلك اتخذها البربر - مثلاً - بعد إسلامهم لغة لهم لحبهم الشديد للاسلام ولولاه ما فعلوا . وهكذا - وبنفس الروح - تنظر إلى هذه اللغة أقوام أخرى من المسلمين غير العرب . ولولا الاسلام هل كان سيصبح للغة العربية شأن كالذي حصل لها بعد الاسلام ؟ .

لقد لاقت اللغة العربية حرباً عنيفة من أعداء الاسلام لأنها لغة القرآن ، فقامت دعوات متعددة هدفت إلى إضعافها ، بل إلى اطّراحها كالدعوة المأفونة إلى اتخاذ اللهجة العامية ، والدعوة إلى كتابة العربية بالحروف اللاتينية (أو فرنجة اللغة العربية وفرنجة كتابتها) . ولارتباط هذه اللغة بالدين رأينا المتدينين من

(١) ابن هشام ، السيرة النبوية ، ٦٣٥/١ - ٦٣٦ .

المسلمين أكثر من غيرهم اهتماماً بهذه اللغة ، كما رأينا الاهتمام الكثير بها من المسلمين المتدينين من غير العرب .

ثالثاً : إن الأمرين السابقين لا يبرران بحال أن نجعل الاسلام عربياً ، ولا يمكن أن يكون كذلك حتى لو كان جميع الفاتحين من العرب ، وماذا ستكون مهمة أولئك الفاتحين في تلك الأقطار لو لم يحملوا إلى شعوبها الاسلام ؟ ولماذا لم يخرج العرب من جزيرتهم قبل أن يأتيهم الاسلام .

إن حماة الامبراطورية الفارسية - حين بدأ المسلمون فتوحاتهم - لم يتصوروا أن العرب (المسلمين) سيستطيعون الوقوف ضدهم ، فذلك شيء لم يعهده ويعرفوه عنهم أبداً ، وحين رأوا قوتهم كانوا مازالوا يظنون أنهم خرجوا من أجل الغنيمة (١) .

لكن خروج العرب المسلمين كان بسبب الاسلام فقط ولخدمته وحده ، ولولاه ماخرجوا . فالواقع يحتم أن نسميهم مسلمين ، لأنهم لم يخرجوا على أنهم عرب ولم يخرج معهم كل من ينتمي إلى العروبة .

إن المعارك الأولى الحاسمة في تاريخ الاسلام كان خصم الاسلام الأول فيها هم العرب المشركين ، ومن الصور العجيبة أنك كنت ترى الابن مع المسلمين وترى أباه مع المشركين العرب . فالمعركة كانت تقوم والطرفان عرب ، الطرف الأول عرب مسلمون والطرف الثاني عرب مشركون .

(١) انظر : ابن كثير ، البداية والنهاية ٧/٤٠ - ٤١ .

إن العرب حين يسمون تاريخهم بعد الإسلام بالتاريخ العربي
و حين يسمون نشاطهم أو إنتاجهم الإسلامي عربياً ، فبالإضافة إلى
مخالفة هذه التسمية إلى المنطق والواقع ؛ فإنه يقلل من مكانة العرب
المسلمين وسيء إليهم . لأن توسعهم يعني أنهم خرجوا إذاً للغزو ،
وأن هذه الفتوحات كانت موجات بشرية لا تختلف عن موجات الفاتحين
قديماً وحديثاً .

ونتساءل : ما هي نظرة هؤلاء وموقفهم من العرب غير المسلمين
الذين حاربوا الإسلام أو وقفوا منه على الحياد ؟ ونتساءل أيضاً :
هل كنا سنجد للعرب أو اللغة العربية أي مجد أو مكانة لولا الإسلام؟
إن الفضل في مكانة هذه اللغة يعود إلى القرآن الكريم الذي نزل بها ،
وإن المسلمين عرباً وغير عرب اعتزوا بها وأحبوها لأنها لغة العقيدة
ولغة الإسلام (١) .

يضاف إلى ذلك أننا منذ اليوم الأول من عمر الدعوة الإسلامية

(١) المفروض أن حب اللغة العربية من قبل العربي مسألة
طبيعية ، وكل إنسان يحب لغته ، وذلك منطبق على جميع الأقوام
مع لغاتهم . ولكن الحديث هنا من ناحية ارتباطها بالعقيدة وعمق
تعلق المسلم بها لهذا السبب . وإن تعلق المسلم غير العربي بها
لا يستند إلا لهذا السبب ، فإن منهم من يؤثر العربية على لغته وذلك
بدافع من عقيدته دون شك . فالعقيدة الإسلامية وما يتعلق بها فوق
كل اعتبار . وعلى هذا الأساس ينظر المسلم إلى الأمور الأخرى
— كالوطن مثلاً — فإنها كلها مرتبطة بالعقيدة .

لا نجد ائمة إشارة إلى عروبة الإسلام في أي من آيات الكتاب المجيد
واحاديث الرسول الكريم ﷺ ، وأقوال الصحابة والقادة والمؤرخين ،
ولم يبد ذلك في أي من مواقفهم وتصرفاتهم . وليست هذه إلا نغمة
معاصرة ، فهل إن أولئك جميعاً كانوا مخطئين ؟ أم هي
الشعبوية الحديثة ؟!!



كلمة عامة

إن أساليب الحرب التي واجهها التاريخ الاسلامي من أعدائه ليست وليدة هذا القرن ؛ بل كانت في وقت مبكر ومنذ وجد الاسلام وتاريخه . وهم لم يحاولوا فقط التلفيق عليه او الدس فيه ، ولكنهم حاولوا ايضاً توجيه بعض أحداثه وإثارة الخلاف بين المسلمين .

وفي العصر الحاضر يحاول أعداء التاريخ الاسلامي بالإضافة إلى ماسبق أن يهوّنوا من شأن هذا التاريخ ويعظموا تاريخ العرب في الجاهلية ، وكذلك تاريخ الامم الأخرى ، ليبدو أمامها التاريخ الاسلامي شيئاً لا يذكر . ومن هنا جاء الاهتمام بتاريخ الأمم الغالبة الأوروبية ؛ فدُرّسَ لنا بتفصيل كثير يفوق أحياناً التفصيل الذي يتعلق بتاريخنا الاسلامي . حتى غدا كثير منا يعرف عن تاريخهم ورجالهم ونهضاتهم أكثر مما يعرف عن تاريخنا الاسلامي . ولقد عُرِضَ التاريخ الأوروبي (١) ، بصورة تدعو إلى تبجيله وإكباره والنظر إليه على أساس أنه قدوة يقتدى به ؛ الأمر الذي يخلو منه ما ندرسه من تاريخنا .

(١) ويوماً ما قد يأخذ التاريخ الاشتراكي والشيوعي طريقه في هذا الاتجاه .

ومن هنا كان إعجابنا بغيرنا من دول الشرق والغرب كبيراً ؛
وهم الذين وجَّهوا السهام إلى تاريخنا وتراثنا !! إننا نأخذ أقوالهم
أحياناً من غير مناقشة نتيجة لجهلنا بتاريخنا واعجابنا بتاريخهم ؛
وهكذا صار مألدهم هو المثل الأعلى لنا. لقد أحلُّوا مثلهم في نفوسنا
وبذلوا الجهود المختلفة للحد من تعلقنا بتراثنا ، وكان كل همهم أن
نتحلل من اتجاهنا ، ونقطع العلاقة بيننا وبين تاريخنا ، واتبعوا
لذلك كل الوسائل ، حتى لقد كان التبشير ، والتطبيب ، والتعليم
وسيلة لهم لبلوغ ذلك (١) .

أما الاستشراق الماكر فهو وليد التبشير وإن لبس لباس
البحث العلمي ، كما لبس التبشير من قبل لباس الرحمة ، وتظاهر
بالعطف على الناس وادّعى الإنقاذ ونشر المعرفة . لقد استطاع
المبشرون أن يسيطروا في كثير من بلداننا الإسلامية - العربية
منها وغير العربية - على التعليم . فكان رجالهم - أيام الاحتلال
- يشرفون عليه ويخططون له ، وبعد انتهاء الاحتلال السياسي
كان وكلاؤهم الأمناء من أهل البلاد يؤدون تلك المهمة خير أداء .
وهم من ورائهم يوجهونهم ويخططون لهم ، إذا احتاجوا للتخطيط أو
قصرت عنه طاقتهم . ولذلك فهم في بعض البلدان يفرضون رجالاً معينين
في مناصب معينة ، كان من أهمها التعليم والإعلام .

(١) خالدي وفروخ ، التبشير والاستعمار ، ص ٣٥ - ٣٨ ،
٥٩ - ٦٣ ، ٦٦ - ٦٨ . شاتليه ، الفارة على العالم الإسلامي ،
ص ٤٩ - ٧٤ .

ومن هنا ضَعُفَت هذه الأمة وقلَّت معرفتها بتعاليم دينها وتاريخها ، وأولت ثقّتها وتعظيمها لأولئك الغالبيين الذين تفوقوا في القوة والإنتاج المادي . ومن هنا أصبحنا نرى أنّ أي اتجاه مهما كان مبطلاً ، وأية فلسفة مهما بلغت من العفونة ، أو أية فكرة مهما اتصفت به من الرعونة ، وأي تهمة مهما حملت من الخشونة قد تجد لها في جسم هذه الأمة وفي عقولها مكاناً ، وذلك بعد أن ضعفت مقاومتها وقلت ، أو كادت تزول مناعتها التي كان إيمانها بدينها وتاريخها مصدراً لها .

ثم نرى هؤلاء الأعداء الماكرين أيضاً قد زاد اهتمامهم بكل شيء يضرّ بالاسلام وتاريخه ، بل لقد صرفوا اهتمامهم لحربه وتشويهه . ثم نراهم قد شغلوا المسلمين بإثارة النعرات القديمة والقوميّات الضيقة ، وذلك بعد أن أثاروا الاهتمام الشديد — على طريقتهم — بإحياء تراث الأمم التي سبقت الاسلام ، ونبش حضارتها وترميم مخلفاتها وتعظيم تاريخها والنظر إليه نظرة البراءة والسلامة من كل عيب، ونظرة الإعجاب والتعظيم . وهكذا أورثت هذه الاهتمامات لدى كثير من الدول الاسلامية نعرات قومية ووطنية ضيقة ، من كسروية ، إلى فرعونية ، إلى بابلية ، إلى فينيقية ومجوسية ورومانية . وأنشأوا معاهد الدراسات والمتاحف التي تهتم بهذه الأمور أيما اهتمام .

وأرسلوا منقّبيهم وعلماءهم لإحياء هذا التراث ، ثم أطلقوا شبهاتهم على الاسلام بسبب ما وصلوا اليه من نتائج . ولست ممن يمنع دراسة التاريخ الغابر وإنتاج الانسان ومعرفة أحواله ، فهو شيء مفيد ، لكن الذي أريده هو الأسلوب الذي ينظر به إلى

هذا التاريخ الغابر الذي انصب عليه الاهتمام ، والذي كان من إنتاج العقلية الوثنية في كثير منه إن لم يكن برمته .

والعجيب أنه أهملت في هذا التاريخ كافة دعوات الانبياء ، فلا تذكر ولو بكلمة ، حتى لتبدو وكأنه لا وجود لها . ولقد محا الاسلام تلك الوثنية وهم يريدون لها اليوم أن تطل برأسها مرة أخرى .

إن هذا الاهتمام بهذا التاريخ الوثني يؤدي إلى إثارة الاتجاهات المحلية أو الوطنية أو القومية على حساب الاسلام الذي كان هو الحصن والموطن والموئل لكل الاقوام ورائدها ومنطلقها . إن هذا الاهتمام يفصل بين الشعوب الاسلامية ويقطع آصرتها (١) .

وقد شجع اعداء الاسلام هذه الاتجاهات وبدلوا لها الأموال . لكن سعيهم سيخفق إن شاء الله وبمعونته .

إننا لا نريد أن ندرس هذه الحقب على أساس الارتباط بها والتعظيم لها ، ولا على أساس أن تصبح مصدراً لإثارة الشبهات والشكوك ، بل نريد أن ندرس بوجهة النظر الاسلامية ومن قبل باحثين مسلمين ، يردون الأمور إلى نصابها ، ويستقرئون حوادث التاريخ كما هي في واقعها وعلى أساس سليم ؛ دون إغفال لأي جانب ، أو إهمال لحقيقة من الحقائق ، أو تشويه لأي معنى .

(١) محمد محمد حسين ، الاتجاهات الوطنية ، ١٣١/٢ - ١٣٣ قارن : برنارد لويس ، الغرب والشرق الأوسط ، ص ١٠٨ وبعدها .

لقد كان من نتيجة هذا الاهتمام أن شاهدنا في ميادين المدن والعواصم تماثيل لأشخاص ذمهم القرآن ونمى عليهم علوهم في الأرض وأدعاهم الألوهية . وقد صرفنا لهذه الأمور الأموال الطائلة التي نحن بحاجة لكي تسهم في رد عدوان وبنيان كيان .

لقد زينا بعض المباني بالتماثيل ، وأصدرنا العملات والطوابع البريدية ، وصنعنا الأثاث والملابس والتحف والزخارف وزيناها جميعاً بصور أولئك الوثنيين . بل ذهبنا إلى إحياء أسماء أولئك ، واطلقناها على الشوارع والساحات بل وحتى على الناس . وكل هذا لا يخلو من شعور طيب وارتباط بهذه المعاني ، وفي الوقت نفسه تنكرنا للإسلام ، بل لقد غالى البعض فاعتبر الإسلام استعماراً (١) ، لا بد أن يتحرر منه !!

إن الحرب التي نشن ضد التاريخ الإسلامي لم تتوقف حتى هذه اللحظة وإن كانت قد خفّت أو ظهرت بأثواب جديدة عصرية متطورة ، حتى أطلقت على الإسلام تعابير ووصفته بأوصاف ليست له . ففدونا نسمع اعتبار الإسلام ثورة ، كما وُصف نفر من الصحابة بالاشتراكيين أو الديمقراطيين أو القوميين ، ثم صنفناهم إلى يمينيين ويساريين (٢) .

(١) محمد محمد حسين ، الاتجاهات الوطنية ، ٩١/٢ - ٩٢ - ١٣٩ ، ١٤١ .

(٢) انظر : فتحي عثمان ، التاريخ الإسلامي والمذهب المادي في التفسير ، ص ١٠٧ . وبعدها .

إن تدريس التاريخ الاسلامي على حقيقته يثير في نفوس الدارسين الاعتزاز والإعجاب ، وذلك نابع من طبيعة هذا التاريخ المشرق حين يُعرض على حقيقته ومن غير تعمّل أو تكلف . لأن الإشراق والروعة والسمو فيه هي نتاج العزة وثمره الإيمان الحق والانسانية في أعلى معانيها وأجلى صورها وأجمل مثلها .

إن تدريسه بهذا الأسلوب يفوّت على الأعداء الأغراض التي رسموا خططهم للوصول إليها ، ووجهوا سهامهم الظالمة للنيل منها . لذلك فهم ما زالوا يريدون أن يدرّس هذا التاريخ من وجهة نظر غير إسلامية ، مجافية للواقع الاسلامي ، وبطريقة تصوّره حقبة من الزمان انتهت وانتهى معها محرّكها (الاسلام) وانتهت الحاجة إليه . وبشكل لا يظهر معه هذا التاريخ المتعدد الجوانب والنشاطات الشامل لحياة المسلمين ثمرة للعقيدة الاسلامية .

إن دراسة تاريخنا ، بشكل أصيل واقعي علمي متحر للصواب وللمعاني التي وراء هذا التاريخ سوف تكون عاملاً في بعث إسلامي مرتقب وجوده ، يحمل راية الخير ومشعل النور الذي ينير درب السالكين . وذلك ما يخافه الأعداء وترتعد منه فرائصهم .

إن هنالك وثيقة (١) خطيرة صدرت ضد التاريخ الاسلامي ، تدعو إلى حربه وتشويهه . والوثيقة تؤكد بأن طريقة تدريس التاريخ الاسلامي بحالته القديمة (الحالية) ، على الرغم من عدم استيفائها واستلهاها لروح هذا الدين فهي تجعل الدارسين يربطون الحياة بالدين . ولذلك فإن الوثيقة تقترح من أجل الوصول إلى محور ارتباط

(١) صدرت هذه الوثيقة في مصر الثورة .

الاسلام بالحياة ومحو تأثيره في إيقاد الشعور الاسلامي ؛ تقترح تغيير مناهج تدريس التاريخ الاسلامي في المدارس وربطها بمعتقدات غير إسلامية . مع إبراز وتكبير بعض الهفوات في التاريخ الاسلامي والتي كان فيها انحراف عن تعاليم الاسلام ، وبيان أن الغرب لم يتقدم تقدمه السريع إلا بعد أن هزم الكنيسة وأقصى تعاليمها عن الحياة السياسية . لقد صدرت تلك الوثيقة السرية الخطيرة في بلد مسلم ، ثم أمكن نشرها بعد الحصول عليها ضمن مخطط يرمي للقضاء على الاسلام بالاستمرار في عملية التجهيل والإبعاد عن الاسلام بكل الوسائل ودونما رحمة .

إن ما ارادته هذه الوثيقة هو هدف قديم نلحظه في الأسس التي قامت عليها كثير من جامعاتنا ، وبموجبه وعلى هديه - تصريحاً أو تلميحاً - أسست جامعة القاهرة وغيرها من معاهد التعليم وتلتها كثير من جامعاتنا . وذلك ما كان يسعى إليه رجال الاستعمار في عدد من بلداننا ؛ الذين اجتهدوا في أن يضعوا مناهج التعليم ويدفعوها في هذا التيار (١) .

إن الذين أصدروا الوثيقة السابقة الأثيمة وغيرهم يعلمون جيداً ما للتاريخ الاسلامي من أهمية في توجيه الأمة ، والإسهام في بناء كيائها الفكري ومثلها الخلقية والاجتماعية وتكوينها العقيدي . وهم يدركون أن للتاريخ الاسلامي دوراً مهماً وفعالاً بالنسبة لحياة الأمة المسلمة لذا فهم اتجهوا بكيدهم إليه .



(١) قارن : محمد محمد حسين ، الاتجاهات الوطنية ، ٢٥٥/٢ ، ٢٢٨ ؛ وله : حصوننا مهددة من داخلها ، ص ٢٧٧-٢٩٥ .

إن إعجابنا بالغرب جعلنا نحاول اقتفاء آثاره في كل شيء تقريباً . وقد عممنا على أحوالنا وحياتنا وتاريخنا خطوات ونتائج وصل هو إليها نتيجة لظروف ما كان لها وجود في العالم الإسلامي ، كالصراع بين الكنيسة والعلم واضطهاد العلماء ووضع رجال الكنيسة في موضع المعادي لحركات التقدم (١) . إذا كان هذا قد حدث هناك فما ذنبنا نحن ، لقد كان رجال الاسلام قادة العلم وقادة الحياة ، ولقد وقفوا في وجه الظلم دونما خوف أو وجل . ألم نسمع بقول رسول الله ﷺ : « سيد الشهداء حمزة بن عبد المطلب ورجل » قام إلى إمام جائر فأمره ونهاه فقتله » . وحتى هذا الوقت الحاضر فما زال رجالات الاسلام - رغم الظروف القاسية - يقدمون الأمثلة الحية على ذلك ، فهم أول من يقف في وجه الطغيان والطواغيت ، ويقولون كلمة الحق في وقت رجبن الكثير حتى عن سماعها .

والحديث عن الصراع بين العلم والكنيسة أمر مهم يجب أن نتبينه . ولذلك حين نتحدث عنه يجب أن نحدده تحديداً بينا فنقول : إنه صراع بين رجال الكنيسة والعلماء ، ثم إن هذا الصراع لا يعرفه الاسلام وتنفر منه طبيعته .

وهم حين يتحدثون عن العصور الوسطى في أوروبا ، يريدون اعطاء

(١) سيد قطب ، العدالة الاجتماعية في الاسلام ، ص ٤-١٩ ؛ محمد قطب ، معركة التقاليد ، ص ٩ وبعدها .

الصفة التي كانت لها للعصور الوسطى في التاريخ الاسلامي ؛ وما
أبعد الفرق بينهما ، فتلك كانت مظلمة ، وهذه منيرة رائعة .

لقد أحاطت بالتاريخ الاسلامي كثير من الشبهات وألم به عدد
من النكبات على يد أعداء الاسلام الذين لهم في ذلك مصالح تعددت
بواعثها . ومن المؤسف أن ذلك غير مقتصر على أعداء الاسلام من
غير ابنائه - مستشرقين وغيرهم - ممن يعملون ويتحركون بمقتضى
مخطط معين ، بل ساهم في ذلك عدد من المسلمين الذين واكبوا
هذه المسيرة واسهموا في تأكيدها واستمرارها .

إن التاريخ الاسلامي اليوم موجود في مطولات المؤرخين
المسلمين ، وفي كتب المحدثين المنصفين من هؤلاء الأعداء . وكتابة
هذا التاريخ وعرضه بأسلوب العصر ومن وجهة النظر الاسلامية
(الواقعية) يحتاج إلى جهود كبيرة . وقد وجدت محاولات مشكورة
وصدرت مؤلفات في هذا الميدان ؛ ولكن ما يزال هذا التاريخ يحتاج
إلى عرض شيق ، وكذلك إلى تنقيته بأسلوب متمكن من الناحيتين العلمية
والعقيدية . ولعله لا يستطيع أن يفهم التاريخ الاسلامي أو يكتبه
من لا يعيش في جوه ويفهم نهجه وطبيعته ، بل الأفضل والأصوب
أن يكون من المؤمنين به المتعمقين في دراسته .

كما لا بد أن يعاد النظر في مناهجنا الدراسية في كل مراحلها
والعناية بتدريس التاريخ الاسلامي تأليفاً ومنهجاً ، كما يستلزم ذلك
إعداد المدرسين على هذه الأضواء . ولذلك فإن عمل المؤرخ المسلم
مُجْتَهِدٌ وضخم كما هو مهم ، لأسباب منها أن الظروف التي مر بها

هذا التاريخ غبشت سطوعه وحالت دون فهم جوانب كثيرة منه .
ومن المهم بمكان توفير الوقت والإمكانيات لكل من يعنيه أو يهمهم
هذا الأمر من الكتاب والعلماء والمؤرخين .

إنه لابد من تنقية هذا التاريخ ثم كتابته وعرضه بشكل يتفق
وطبيعة الاسلام . وهذا يقتضي جهوداً ضخمة من كافة المسؤولين
أفراداً وهيئات .



مقترحات

إن من المناسب جداً أن نذكر بعض الخطوات التي تسهم في خدمة تاريخنا ؛ في مجالات : فهمه ، وطريقة تدريسه ، ورد الشبهات عنه ، وهي خطوات تهتم رجال التربية والتعليم ، وعلى وجه الخصوص المهتمين بالتاريخ الاسلامي تدريساً وتأليفاً .

إن عمل المؤرخ المسلم كبير ومهم جداً لأسباب سبقت الإشارة إليها ؛ ومنها أن الظروف السابقة حالت دون فهم أشياء كثيرة كان عليه أن يدرسها بدقة ، ولم يتوفر له ذلك لقلة الامكانيات وانشغال الأفراد والأساتذة المتخصصين بتهيئة معاشهم وضمان مورد لهم . ولعله ليس من الخطأ أن نقول : إن أصحاب البحث والتأليف في أكثر الأحيان ، إن لم يكن في كلها ، قليلو الامكانيات المادية . ولذلك فإن الامر يتطلب أن تقوم به هيئة ذات إمكانيات كافية ؛ لتوفير الجو الملائم بالنسبة للتاريخ الاسلامي فقط ولكن بالنسبة لفروع الدراسات الاسلامية الأخرى (١) ، على نحو ما عملت وزارة الشؤون الاسلامية في الكويت في مشروع موسوعة الفقه الاسلامي .

إن لدى الهيئات العلمية والمؤسسات وبعض الدول الاسلامية رغبة وتحمساً للقيام بمشروع يخدم التاريخ الاسلامي وغيره من

(١) ويرد هنا ذكر مشروع تأليف دائرة معارف اسلامية على نسق سليم .

فروع المعرفة الإسلامية . ولكن لابد من التنسيق في عمل العاملين أفراداً وجماعات ، وذلك بتكوين لجنة تتولى هذه المهمة .

ويمكن هذه اللجنة أن تقوم بالإشراف على كتابة التاريخ الإسلامي من وجهة نظر ومنطلقات وأسس علمية إسلامية . على اعتبار أن التاريخ الإسلامي مرتبط بالعقيدة من حيث الدافع والتأثر ، ومن حيث المحرك والصبغة الدائمة؛ مع بيان أثر العقيدة في العمل ونتائجها، التزاماً بها أو انحرافاً عنها . وعلى اعتبار أن هذا التاريخ كائن حي متصل الحياة لا يزال مستمراً وفعالاً حتى الآن رغم ما أصابه . وهذا يقتضي أن تكون كتابة التاريخ الإسلامي مستمرة متصلة أفقاً وطولاً ، أعني شاملاً لجميع بقاع المسلمين حتى يومهم هذا .

والمقصود بـ وجهة النظر الإسلامية أو المنطلقات الإسلامية في كتابة وتدريس التاريخ الإسلامي هو أن ندحض أولاً كل الافتراءات والتلفيقات التي اقحمت على هذا التاريخ ، وكذلك التفسيرات الخاطئة والباطلة التي قامت عليها . ثم عرض الوقائع التاريخية الصحيحة بكل جوانبها سلسلة ومكتملة ، واعتباراً ماوراءها من المعاني التي ارتبطت بها والأسس التي قامت عليها وفهمها على ضوءها . كل ذلك على قواعد منهجية مستقلة واعية مدركة ، وإمكانات علمية وافية تتصف بالخلقية والدقة ، والأمانة والإنصاف (١) ، كما تتصف بالتبع والتقصي ، والتمحيص والمقارنة

(١) راجع للمؤلف : الحضارة الإسلامية في الأندلس ص ٦٣ .

والإدراك الشامل لطبيعة هذا التاريخ ومجرياته ، وفهم الحياة الإسلامية والعقيدة الإسلامية وشمولها . ثم - من ناحيتنا - الإيمان بهذا كله والعيش في أجوائه كي تكون زاوية النظر أكثر مركزية وانطباقاً . ويضاف إلى ذلك أيضاً أن ندرك أهمية هذا التاريخ في حياتنا ، وأنتنا - كمسلمين - مرتبطون به وهو جزء من حياة الأمة المسلمة . وندرسه وندرسه أيضاً على أساس العبرة والاقتداء والإفادة الشاملة .

لذا فانه « يصبح عرض التاريخ الإسلامي بصورة صحيحة ضرورة لأمفر منها ، ليس فقط لأهميتها ولكن لانطباقها والواقع التاريخي . ولكن هذا العرض لا يمكن أن يتهياً إلا إذا كان من منطلق إسلامي ؛ وبقلم من يقف في المركز الإسلامي يطل على الحياة الإسلامية ويعيش الباحث بكل كيانه في جو الإسلام » (١) .

وهذا المشروع الذي لابد أن تنفق عليه المؤسسات المعنية يجب أن تقوم به لجنة يمنح القائمون عليها التفرغ الكلي أو الجزئي للقيام بهذه المهمة . وتكون من أساتذة وباحثين متخصصين يملكون الامكانيات العلمية كما يملكون العقلية والروح الإسلامي ، والرغبة في انصاف هذا التاريخ وعرض ترائه وتشريع .

إنه لا يصح أبداً أن نأخذ تاريخنا من كتابات جورج (جرجي) زيدان أو فيليب حتي أو ساطع الحصري، ولا من المبشرين والمتعصبين

(١) فيصل حنبلي « أهمية علم التاريخ » مجلة البعث الإسلامي المجلد : ١٣ ، العدد ٥٥ ، ص ٥٢ ، ٥٦ .

من المستشرقين وعلى طريقة الجامعات الأمريكية وغيرها في بلادنا .
كما لا يصح ومن غير المأمون أن نؤمّل بالجامعة العربية لتقوم بهذا
الدور .

إن كل أمة تحترم نفسها وعقيدتها ولها شخصيتها لاتهمل
تاريخها ، ولا ترضى أي نوع من التعليم أو الأفكار التي تصطدم مع
عقيدتها ، ولا تسكت عن الموجهين الذين يشوهون هذا
التاريخ ، ويشيرون الشبهات الباطلة التي لاسند لها من الواقع ،
وليس وراءها إلا العداوة والكراهية . وإن كان لابد من ذكرها ، فعلى
مناقشتها (١) والتوصل إلى الحقيقة الناصعة .

إننا ندرك أهمية النقد العلمي البناء ، ونحث عليه . ولكننا
لنرضى أبداً أن نخدع باسمه ، وأن نشوه تاريخنا تحت مظلته .



لا بد من مراعاة هذه الأمور في مراحل التعليم المختلفة في
بلادنا وإعداد المدرسين على هذا الأساس . وهذا يقتضي أن نعيد
النظر في مناهجنا المختلفة ، ونضع منهاجاً يدرس فيه التاريخ
الإسلامي من وجهة النظر الإسلامية ومن منطلق إسلامي ، وذلك
يعني الإنصاف ، والبحث عن الحقيقة .

وإذا أردنا أن نوجد الوحدة العقيدية والشعورية والنفسية
والعقلية في كل فرد من أفراد هذه الأمة ، فلا بد أن تسير المناهج
الأخرى بنفس الأسلوب ، وبذلك نرد كل أمورنا إلى الحياة الإسلامية

(١) انظر : الندوي ، نحو التربية الإسلامية الحرة ، ص ٦٧
وبعدها .

ومنهج الاسلام لتنهل من معين واحد . وبهذا وحده نكون مسلمين
وتكون للاسلام الهيمنة على تربية الامة .

ولكي تكون كل امورنا ومقاييسنا على اساس إسلامي فالأمر
يقتضي الا يدرس التاريخ الاسلامي وحده من وجهة النظر الاسلامية؛
ولكن يجب أن تكون دراستنا كذلك لكافة مراحل التاريخ التي سبقت
الاسلام والتي لحقته للأمم الأخرى . يجب أن تكون دراسة كل
أنواع التاريخ من وجهة النظر الاسلامية ، التي تتحرى الدقة
والأصالة ، وبها وزن وتقيس التصرفات والسلوك الاجتماعي وكافة
انظمة الحياة الانسانية ، ودون انسياق وراء الادعاءات، وذلك يعني
أيضاً منتهى الدقة وأمانة العرض .

بل اذهب إلى ابعد من ذلك ، يجب أن تكون دراسة جميع
العلوم والمواد المختلفة في كافة المراحل على اساس إسلامي ونظرة
إسلامية ؛ وإلا سنكون متناقضين ونقيم في نفوس الأبناء صراعاً
ينشب مما لديهم من صور إسلامية - بعضها غير عميق الجذور - ومن
صور غير إسلامية يتلقونها من العلوم الأخرى . علينا الا ندرس
طالبنا الاسلام ونطالبه به في الدين والعقيدة والتاريخ الاسلامي ،
أو ندرسه عظمة الاسلام وأنه وحي من الله ، ثم هو يدرس في
تاريخ الأمم الأخرى ما يثير في نفسه القلق أو في فكره الشبهات، أو
التعظيم لها والاستهانة بتاريخه . أو يدرس في العلوم والطبيعة بعض
نظريات - على الرغم من عدم ثبوتها علمياً بعد ، وربما لم يدع
أصحابها ولا قائلوها ذلك - تناقض الاسلام .

كيف ندرس طالبنا في الدين حرمة الربا وكتاب الرياضيات
مملوء بالمسائل الحسابية الربوية؟ خاصة وأن بناء المسألة الحسابية على

انها معاملات مقبولة جارية ومألوفة في بلادنا ، وخاصة في المراحل السابقة للجامعة . إن هذا الأمر ينشئ في نفسه صراعاً وقلقاً واضطراباً !!

إن بناء الحضارة الاسلامية الذين انتجوا في العلوم البحتة كانوا من أكبر المؤمنين ، ولم نجد من الأفكار الشاذة لدى علماء المسلمين إلا من أولئك الذين درسوا فلسفات الأمم الأخرى بالتقدير والإكبار لها ، رغم مصادرها الوثنية كالفلسفة اليونانية . لقد ظهر أثر ذلك في أفكار بعض العلماء المسلمين كالفارابي ، الذي تكلم أحياناً بما يخالف العقيدة الاسلامية ، وعلى الرغم من ذلك فالرجل مؤمن موحد ، وإن كان قد تأثر ببعض هذه الأفكار الوثنية ، وأيضاً لم يكن لتلك الافكار نتائج وآثار لأن المسلمين كانوا ملمين بعقيدتهم وتاريخهم ، أقوياء في إيمانهم .

لقد كان قادة العلوم والمعارف في تاريخنا من أكبر المؤمنين ، ولقد استخدموا علومهم في خدمة عقيدتهم ، وبالتالي في خدمة مجتمعهم وكافة بني الانسان، نذكر منهم : ابن الطفيل ، وابن حزم ، وجابر بن حيان ، وأبا عبيد البكري ، وأبا القاسم الزهراوي ، وأبناء زهر ، وابن فرناس صاحب أول محاولة للطيران .

ويروى عن بعض علماء المسلمين أنه كان حين تقف أمام أحدهم معضلة أو معادلة كيميائية أو رياضية أو علمية أخرى كان يلجأ إلى الله ، ويدعوه في نهاية صلاته أن يعينه على حلها . ولقد ظهر الايمان واضحاً عند عدد من غير المسلمين ، لقد وصلوا إلى الايمان القوي بالله وحده عن طريق بحوثهم . وليرجع القارئ إلى كتاب : **العلم يدعو للإيمان** لـ (كريسي موريسون ، ترجمة صالح محمود الفلكي) وكتاب :

العودة إلى الإيمان لـ (هنري لنك ، ترجمة ثروت عكاشة) وكتاب:
الله يتجلى في عصر العلم (لطائفة من العلماء الغربيين) ليرجع القارئ
إلى هذه الكتب ليرى حقيقة ما قلناه .



إنه لابد للتربية من هدف ، السنا نحرص على تنمية الطاقات
العقلية والخلقية والنفسية لدى طلابنا ؟ إن هذا بعض ما يريده
الاسلام .

الحقيقة أن جميع فروع المعرفة والمواد التدريسية يجب أن
تعاون في بناء الشخصية المسلمة لدى الطلبة .

وربما كانت المواد التي وضعت فيها الشكوك جديرة لو درست
بطريقة أحسن - بأن تكون طريقاً صحيحاً إلى الإيمان بالله .

فالحق أن العلوم الطبيعية وغيرها كلما أحسنا الاستفادة منها
كانت درباً إلى الإيمان بالله ودليلاً إليه وسنداً له لا العكس . إذأ
فلا بد أن تدرس هذه العلوم وغيرها من وجهة النظر الاسلامية ،
وبمنطلق إسلامي « **وَفِي الْأَرْضِ آيَاتٌ لِلْمُؤْمِنِينَ** ﴿٢١﴾ » **وَفِي أَنْفُسِكُمْ**
أَفَلَا تَبْصُرُونَ ﴿٢٢﴾ » ؟ (١) .

بل لعلني أذهب مرة أخرى إلى أبعد من ذلك فأقول : إن كل
فكرة أو حقيقة علمية ثابتة لايمكن أن تخالف الاسلام ، لأن الله الذي
خلق الكون وما فيه - وكل عمل العلماء هو اكتشاف حقائقه
والاستفادة منها ، لا إيجادها - لا يمكن أن يصدر عنه كلام يناقض

(١) الآيتان ٢٠ - ٢١ من سورة الذاريات .

تلك الحقائق ، وكلاهما من مصدر واحد . لقد صرح علماؤنا بأن العلم الصحيح لا يمكن أبداً أن يخالف النص الصريح .

بل اذهب مرة ثالثة إلى أبعد من ذلك فأقول : إن أية نظرية علمية مهما كان قائلها ، إذا وجدناها مخالفة للعقيدة الإسلامية فالنظرية هي الخاطئة ؛ ولا توضع بسببها على الاسلام علامة استفهام ولا ترفع في وجهه اشارة اتهام، وعلينا ان نطلب من صاحب تلك النظرية أن يعيد النظر ببحثه ليظهر له ما قد خفي عليه من خطأ .



ولعله من المناسب أن ننبه هنا أن القرآن الكريم ليس كتاب اختصاص في علم معين من العلوم تلتبس فيه الحلول لكل معضلاته ، وأن ماجاء فيه من إشارات في بعض العلوم المتعلقة بالكون كان لدلالة الناس على خالقهم وموجدهم فيما يشاهدونه من خلقه .

إن كثيراً من الآيات الكونية والتاريخية والنفسية وجدت لها من الواقع ما يؤيدها، ولا تزال مدلولات آيات عديدة تنتظر من يكشف عن مطابقتها لواقع الحياة ، مما يجهله العلماء إلى الآن ، ولقد سبق الاسلام غيره في الاشارة إليها وهي تعتبر من جملة معجزاته .

وعلى الرغم من ذلك فلا بد من التروي في تفسير كثير من الآيات المتعلقة بنظام الكون ، ويجب ألا يبهزنا بريق بعض النظريات فنحاول تفسير بعض الآيات تفسيراً قهرياً ، فانه لا يصح أن تستمد القوة للقرآن الكريم مما يصل إليه العلماء بل العكس هو الصحيح ، إن القرآن كتاب هداية وارشاد لبناء مجتمع سليم وعالم

فاضل قويم ، لم يترك في هذا صغيرة ولا كبيرة إلا احصاها ، وإن ما فيه من آيات علمية سقت لتأييد هذا الاتجاه وتوكيده .

إن كثيراً من المعارف والعلوم - والبحث منها على وجه الخصوص - كانت مواليد إسلامية أسهم السلف فيها اسهاماً جعلها علماً بالمعنى الصحيح . وعنا نحن المسلمين انتقلت إلى الغرب وغيره ، وتأثرت بها سائر الحضارات ، ولكن هذه الأمور نجهلها ، وإن هناك من يهمل أن نبقى في حالة جهل لها .



إن هذا الجانب - جانب العلوم البحتة - عظيم في حضارة الاسلام، وأعظم منه هو الأمر الذي قامت عليه هذه الإنتاجات ، والأصل الذي استندت إليه وهو عقيدة الاسلام ونظراته الكلية المتساوقة المتسعة المنسجمة في الكليات والجزئيات للكون والانسان والحياة .

ويمكن القول بأن مقياس أهمية العقيدة والفكرة هو مقدار تكريمها للانسان ، والقيمة التي تعطى لها ، والمكانة التي تضعه فيها ، والاسلام يعلو على كل العقائد في هذا الجانب ، فهو معروف بتكريمه للانسان في حالة الحياة والموت « **وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ وَحَمَلْنَاهُمْ فِي الْوُجُوهِ وَالْبَحْرِ . وَرَزَقْنَاهُمْ مِّنَ الطَّيِّبَاتِ وَفَضَّلْنَاهُمْ عَلَى كَثِيرٍ مِّمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلًا** » (١) ؛ وعن جابر بن عبد الله رضي الله عنهما قال : « مرت بنا جنازة فقام النبي ﷺ فقمنا فقلنا : يا رسول الله ، إنها

(١) الآية ٧٠ من سورة الإسراء .

جنازة يهودي . [فقال : اليست نفساً ؟] إذا رأيتم الجنازة
فقوموا « (١) .

واين هذا من إهدار كرامة الانسان حياً وميتاً في الحضارة
الغربية ، حتى لقد غدا قتله أفراداً وجماعات أمراً غير ذا بال أحياناً .



قد يقول قائل : ما علاقة مثل هذه الأمور ببحث في التاريخ ؟
والجواب على ذلك أن هناك ارتباطاً وثيقاً إذا أردنا أن نعتبر الاسلام
ككل ، وإذا أردنا أن ننظر إلى التاريخ الاسلامي نظرة صحيحة المنطلق
والهدف . أما إذا درسناه كأحداث فقط فاننا سنجهل كثيراً منه
ويصبح غامضاً ، ثم نخطيء البداية والهدف . وبذلك تكون دراستنا
دون جذور ومجردة عن الغاية .

يجب أن تكون دراستنا للتاريخ الاسلامي شاملة ، لاتشمل
فقط مقاطع معينة - كالمعارك مثلاً - وإنما تكون دراسة تاريخية
على اعتبار أن التاريخ يستوعب كل جوانب النشاط الانساني وتراثه
الحضاري بالمعنى الشامل . أي : الحضارة متمثلة في إنتاجها الفكري
والعملي ، الاجتماعي والخلقي السلوكي ، وفي القيم التي أوجدت
كل ذلك .

ولكن ليس من الضروري أن تقوم الدراسة في مراحلها على
طريقة السرد الزمني دون ترك لأي حدث ، فلا داعي لتدريس الطالب

(١) ابن حجر العسقلاني ، فتح الباري ، ٤٢٣/٣ ، صحيح
مسلم (كتاب الجنائز) ٦٦٠/٢ .

في المراحل المبكرة مسائل الخلافات السياسية إلا بمقدار بسيط ؛
أما التعمق بها وبسطها أمامه فهو أمر لا يحتاجه بل لا يستوعبه طالب
في تلك المرحلة ، وقد لا يفهمها فتضره .

ويجب أن يدرس التاريخ القديم لاعلى أساس تعظيمه كما
هو الشأن الآن في كثير من الكتب والمناهج . بل يجب أن يدرس على
أساس من نظرة القرآن الكريم إليه ، وأخذ العبرة من أحداثه .
فإن « المنهج القرآني ينقل البشرية إلى هذا الأفق ، ويشرح لهم منهج
النظر في أحداث التاريخ الانساني . وهذا المنهج ليس مرحلة في
طرائق الفكر والمعرفة ، إنما هو الذى يملك وحده اعطاء التفسير
للتاريخ الانساني . » (١) ، « قُلْ سِيرُوا فِي الْأَرْضِ ثُمَّ أَنْظِرُوا كَيْفَ كَانَ
عَقِبُ الْمُكْذِبِينَ » (٢) ، « أَوَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَيَنْظُرُوا كَيْفَ
كَانَ عَقِبُ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ كَانُوا أَشَدَّ مِنْهُمْ قُوَّةً وَأَثَارُوا الْأَرْضَ وَعَمَرُوهَا أَكْثَرَ
مِمَّا عَمَرُوهَا وَجَاءَتْهُمْ رُسُلُهُم بِالْبَيِّنَاتِ فَمَا كَانَ اللَّهُ لِيَظْلِيَهُمْ وَلَكِنْ كَانُوا أَنْفُسَهُمْ
يَظْلِمُونَ » (٣) .

وتدريسنا للتاريخ الاسلامي يجب ان يحقق اهدافاً كثيرة ،
إضافة إلى الأهداف التي تتحقق بدراسة التاريخ عموماً . منها
أن تتحقق القدوة والأسوة، وأن تربي لدى المسلم العقلية والنفسية

(١) سيد قطب ، في ظلال القرآن ، ١٤٢/٧ .

(٢) الآية ١١ من سورة الأنعام .

(٣) الآية ٩ من سورة الروم .

الاسلامية التي يعتز به، وأن يجعل منه ذا خلفية عالية، وأن يعنى بتربية شعوره الاسلامي ورعايته وتثبيت معانيه . وهذا لا يتأتى إلا أن يكتب تاريخنا بمنطلقات ونظرات اسلامية تتحرى الحقيقة دائماً ، ولا بد لمن يكتبه أن يكون له إلمام بالعلوم الاسلامية الأخرى . ولا بد أن تكون كتابته على اعتبار أنه مصدر عزة للمسلم ، ومنبع لتوعيته ، ووسيلة لشحذ الهمة وتأكيد الثقة بالدور الذي ينتظر هذه الأمة .

ومن أجل تكوين عقلية ناقدة مميزة واستعدادات للتبصع والاستقراء لدى الجيل المسلم ، يجب أن يكون الاهتمام في تدريس التاريخ وتأليفه منصباً على النظرة إلى الخطوط العامة الكلية لهذا التاريخ ، والاهتمام بفقهِ وتعليل الأحداث ، وربط الظواهر والنتائج فيما بينها ثم بمقدماتها وأسبابها . يجب عدم التأكيد الكثير على إلزام الطالب بالطريقة الصمّية والحفظ التتابعي والمسائل الرقمية وتواريخ الأحداث على حساب غيرها . وعدم الاكتفاء بالطريقة السردية ، وإن كانت هي الأساس ، لأن الاكتفاء بها يعني أننا نهدف إلى تخريج قصاصين وتكوين رواة للتاريخ وأوعية له . أننا نريد بالإضافة إلى تنمية قابلية الإمام وحفظ الأحداث أن نعمل على غرس قابلية الاختيار والتمييز بين الفث والسمين ، واعتبار وجهات النظر المتباينة والموازنة بينها ، وحب التبصع والمقارنة والاستفادة من كل ذلك . ولا بد من لفت النظر وإثارة الاهتمام بالمكتبة الاسلامية ، وهي غنية ثروة معطاءة .

وبالنسبة لدراسة السيرة الشريفة على وجه الخصوص لا بد من الاعتماد أولاً على القرآن الكريم ، وكتب الأحاديث المعتمدة ،

وما رواه المسلمون من الأخبار الصحيحة في المؤلفات الموثوقة ، مع تمحيص هذه الأخبار على قدر الطاقة .

وإذا ما استقينا معلوماتنا على هذا الأساس عن هذه المصادر فسيبدو مضحكاً ما نجده في كتب المستشرقين الماكرين ومن تابعهم ، وسيبدو أن ما يذكرونه من صور لا يعرفها التاريخ الاسلامي وينكرها (١) . وذلك نفسه أيضاً سيدعنا في حصانة ضد كل انحراف أو إنتاج متهافت مغرض ، ويترك عقولنا واستعداداتنا مستنيرة لا تخشى أبداً سماع الاتهام ؛ بل قد ينفعها ذلك حيث يدفعها إلى معرفة الصواب ورد السهام . ويجعلها في حصانة ومناعة تستطيع الوقوف وحدها والصمود كما تستطيع رد الأمر إلى نصابه ومعرفة صوابه .

« ولا بد من النظر إلى التاريخ الاسلامي على انه كائن حي لا يزال مرئياً ، مع إدراك مواقع الحوادث والوقائع في جسم هذا الكائن الحي » (٢) . ولعل ذلك يقتضينا أن تكون هناك مادة جديدة تدرس العالم الاسلامي المعاصر (حاضر العالم الاسلامي) شعوباً وأقطاراً ، وتدرس في هذه المادة أيضاً أحوال المسلمين والمشكلات التي تواجههم ؛ كقضية فلسطين وقضية كشمير ، وغيرها من القضايا العديدة .

(١) انظر : اتين دينيه وسليمان ابراهيم ، محمد رسول الله ص ٤٧ - ٤٨ .

(٢) سيد قطب ، في التاريخ فكرة ومنهاج ، ص ٤٥ .

وقد يقود هذا إلى إحداث مادة في الجغرافية باسم جغرافية العالم الاسلامي .

هذا وإذا ما كتب التاريخ الاسلامي على هدي هذا المنهج فيجب أن يكتب للمستوى الجامعي وغيره من المستويات ومن بداية هذا التاريخ وإلى وقتنا الحاضر ، وحسب أسس من وحي هذا التاريخ نفسه واستشراف طبيعته ووقائعه ، وأن يكون هادفاً هادياً . ولا بد من الاستفادة والاستعانة بكل الإمكانيات العلمية والوثائق والمصادر بأية لغة كانت ، على أساس من الاستقلال وفهم طبيعة هذا التاريخ والاستنارة بأسسه ومقوماته وخصائصه .



ولا بد أيضاً من مراعاة قضايا كثيرة :

— بالإمكان إدخال مادة أو مزجها مع غيرها لدراسة مناهج التاريخ عند المؤرخين المسلمين .

— أن يكتب هذا التاريخ في مراحل الدراسة المبكرة بأسلوب شيق غير ممل ولا ثقیل ومن المستحسن أن يكتب بأسلوب قصصي .

— أن يُلَفَى أو يضيق نطاق تدريس التاريخ القديم (قبل الاسلام) من المراحل السابقة للجامعة ، على أن تلقى نظرة في المرحلة المتوسطة على تاريخ الجاهلية في الجزيرة العربية كمدخل لدراسة التاريخ الاسلامي . وربما يكون مثل ذلك في نطاق أضيق في المرحلة الابتدائية . وفي الثانوية تلقى أيضاً نظرة أوسع على أحوال العالم المعروف كله قبل ظهور الاسلام ولنفس الهدف ،

ولا يهمل هنا استعراض مناسب لدعوات الأنبياء خلال مراحل تدريس هذا التاريخ .

— أن يلغى أو يضيق نطاق تدريس تواريخ الأمم غير الإسلامية —
— بعد ظهور الاسلام — في المرحلتين الابتدائية والمتوسطة إلا في حالات الاحتكاك والاتصال العسكري والمدني ، السلمي والحربي مع هذه الأمم . وبصورة مختصرة ، تعطى عنها فكرة مبسطة كموضّح لدراسة وفهم تلك المواجهة .

— يدرّس تاريخ الأمم غير الإسلامية — بعد ظهور الاسلام — في المرحلة الثانوية لا كمادة منفصلة ولكن خلال دراسة التاريخ الإسلامي وفي نفس المقطع الزمني له . وإذا كانت هناك ضرورة لجعلها مادة منفصلة فعلى أن تكون بنفس الترتيب مجاورة لدراسة التاريخ الإسلامي .

— أن تدرس مادة السيرة النبوية وفقهها ، أو أحداث معينة في التاريخ الإسلامي أو تاريخ العالم الإسلامي المعاصر في مراحل الدراسة الجامعية في السنوات غير ذات التخصص .

— وإذا أريد إعطاء فكرة عامة عن التاريخ أو تزويد الطلاب بالثقافة التاريخية في هذه السنة العامة (غير ذات التخصص) فيمكن أن تدرّس كافة المراحل حتى الوقت الحاضر ، وقد يركز على تاريخ البلد ذاته ، وتأخذ كل فترة من المساحة بقدر أهميتها : وفي هذه الحالة حين نعرض لدراسة تاريخ ما قبل الاسلام يجب ألا نفصل دعوات الأنبياء وجهادهم ودورهم في بناء هذا التاريخ وتشكيل وتوجيه أحداثه .

أما التوسع في تواريخ الأمم الأخرى غير الإسلامية - قبل الإسلام وبعده - فمكانه الطبيعي في الجامعة ، وفي أقسام التاريخ .

- إن ارتباطنا بالتاريخ الإسلامي وأهميته بالنسبة لنا (وللعالم) يستدعي أن يكون اهتمامنا به أكبر وتعمقنا أكثر ، وهو أول وأهم ما نعلمه لأبنائنا ، وكل تعمق وتوسع في غيره يكون في المراحل الجامعية وفي التخصص ، وإن كان يهمننا في هذه المراحل أن نتعمق في هذه التواريخ أيضاً .

- ويقترح أن يدرّس شيء من التاريخ الإسلامي كالسيرة النبوية الشريفة في فروع الدراسة البعيدة عن الدراسات التاريخية والتاريخ الإسلامي خاصة ، والتي لا يقع ضمن تخصصها ، بحكم حقل دراستها ، نظرية كانت أو عملية .

- ولا بد من الاهتمام بمواقع التاريخ الإسلامي وأماكن أحداثه وما بقي من آثاره في كل العصور والأقطار .

- ألا تقتصر دراسة التاريخ الإسلامي في كافة المراحل على سرد الأحداث المعينة ، ولكن لا بد من الالتفات إلى الجوانب الأخرى الفكرية والحضارية والاجتماعية وتقويمها ، ودراسة أبطال هذه الأمة ومواقفهم - في كل الميادين - خاصة أيام المحن والنكبات ، وهذا الأمر تبدو الحاجة إليه كثيراً في مرحلتنا الحاضرة .

- أن تختار المقررات والكتب الأساسية وأن تكتب المناهج في التاريخ الإسلامي بواسطة من فهموا خصائص الإسلام ومقوماته ، وألّوا بحقيقة تاريخه ، الأمناء على أسلوب عرضه وصيانتة .

- ويفدو من المفيد جداً في المراحل الجامعية خاصة إلقاء
الأضواء على الاتهامات والشبهات التي أثرت حول التاريخ الاسلامي،
ومناقشة مصادرها ودوافعها على ضوء الواقع التاريخي الاسلامي ،
وذلك بعد دراسة وقائع هذا التاريخ ومعرفة حقائقه . ولا بأس
أن يكون (شيء من هذا) وفي نطاق اضيق في بعض المراحل السابقة
للدراة الجامعية ، شريطة الا تكون هذه الدراة على أساس
اعتداري توفيقى : اي بشعور المتهم المدان والشاعر بالنقص (١) .

(١) فإذا قيل مثلاً بأن الدين يناقض العلم ، تأثراً بأوروبا ،
فليس الأفضل أن يكون ردنا فقط بإثبات أن الدين لا يخالف العلم
ولا يقف ضد تطور الإنسان ، بل أيضاً لا بد من إبراز وتأكيد أن
العلم ووسائل البحث العلمي ومناهجه هي بعض معطيات الاسلام ،
الذي هو دافع للتطور السليم نحو الأحسن الأنفع ، وهو يستخر
كل ما حوله لخدمة الانسان ويوجب محاربة ما يضره منها .
والاسلام يأمر بهما (العلم والتطور النافعين) وهو راعيها وموجدهما
ومؤسسهما ، أما عدم الأخذ بالعلم النافع فهو مخالف للدين ،
بل إن من قواعد الاسلام أن يحمل الناس على السعي لطلب
العلم وتحمل المشاق من أجله ، ويُعتبر الاسلام العلم
والانتفاع بما سخر الله واكتشف ما في الكون نوعاً من العبادة
« إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ » سورة فاطر : ٢٨ ، « هُوَ الَّذِي
جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ ذُلُولًا فَامْشُوا فِي مَنَاكِبِهَا وَكُلُوا مِنْ رِزْقِهِ وَإِلَيْهِ
النُّشُورُ » سورة الملك : ١٥ ، « أَفَنْ يَمْشِيَ مُبْكَأً
عَلَى وَجْهِهِ أَهْدَى أَمِنْ يَمْشِيَ سَوِيًّا عَلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ » سورة الملك : ٢٢

وإذا كان رد التهمة ضرورياً فلا يجب أن 'يشغلنا عن العرض المشرق لجوانب هذا التاريخ والدراسة الواعية له . وهي لا بد أن تسبق المناقشات والردود على التهم . وربما بهذا العرض نفسه تنهافت تلك الشبهات الظالمة (١) . ولذا فمن الأفضل أن

والمسلم هو العالم الذي يسعى وراء العلم ولا تصح له المحافظة على إسلامه دونه . ومن هنا فاق المجتمع الاسلامي غيره في العلوم ، والشواهد على ذلك كثيرة . وليس كالاسلام موجهاً نحو العلم ومهتماً به ومكرماً لأهله .

ويوم جاء الاسلام لم يكن للعرب علم ولم يملكوا منه شيئاً ، لكنهم بسرعة فائقة ساد بهم العلم وبغيرهم من المسلمين وانتعش بكل حقوله ، وغدا المجتمع الاسلامي في هذا المجال قدوة وإماماً .

ومن غير الاسلام إذا يدعو إلى العلم إذا لم يكن هو . والاسلام هو الدين الذي اعتبر العلم فريضة ، لكنه الجهل يخلق الوهم ، فليذهب هؤلاء الجهلاء الذي يثيرون مثل هذه الشبهات وليتعلموا ويعرفوا الاسلام ، وعندها سيبدون أمامه صفاراً ويظهرون معه اقزاماً .

(١) تلقى على الاسلام وتثار حوله شبهات كثيرة فعلىنا ألاّ ننشغل ونحن نرد عليها بمحاولة التوفيق وإلغاء التهمة . فكل يوم تخرج علينا شبهة : إن الاسلام ضد الحرية ، والاسلام ظلم المرأة ، والاسلام ... ونحن نذهب محاولين إثبات أن الاسلام لم يقصر في حقوق المرأة أو لم يحرمها شيئاً منها . والاسلام ليس ضد الحريات بأنواعها وغير ذلك . كل هذا صحيح ،

←

نبدأ بتدريس التاريخ وعرضه مشرقاً قبل التعرض لصد الحملات
الظالمة ضده وتفتيتها بمعاولنا ورميها على رؤوس حاملها إذا لم
يرعوا .

ومن المفيد جداً حين التعرض للحملات الظالمة للإمام بالحركات
الهدامة ، الداخلية والخارجية ، السياسية والفكرية ، المعاصرة
والغابرة ، سواء أثارها أفراد أم جماعات .



ولكن يجب أيضاً أن يوضح بأن طبيعة الاسلام ذاته تتنافى مع
الظلم والقهر وهضم الحقوق . وهل كانت للمرأة حقوق قبل أن
يمنحها الاسلام ؟ وهل هنالك خريات أبلغ من الشكل الاسلامي
وبالصورة التي نفذها به عملياً ؟ وهل يمكن للعبيد أن يمنحوا الحرية؟
إن هؤلاء الذين يتحدثون عن الحرية عليهم أن يحرروا أنفسهم قبل
ذلك من العبودية لمختلف الجهات ولأنفسهم وشهواتهم . فالاسلام
الذي جاء بالحرية الحققة هو الذي حرر الانسان : نفسه وعقله
وروحه وكل عضو وجارحة فيه من كل انواع العبودية الوثنية
والبشرية وعبده الله . والعبودية الحقيقية لله هي التي ترفض كل
انواع العبودية التي يخضع لها هؤلاء الذين يطلقون مثل هذه
الشبهات على الاسلام . لقد حرر الاسلام الرؤوس كما حرر النفوس
ولذلك كان بلال ، وهو الذي اشتراه سيده بالمال وهو العبد الأسود
حين اسلم ، يشعر بأنه هو السيد وان سيده هو العبد الحقيقي .
وهكذا دائماً فالاسلام واهب الحرية ومانح الحقوق للناس ؛ ولا
يعرف الحرية الحققة ويتذوقها غير المسلم .

وفي مجال تعليم المرأة لا بد من التأكيد على تاريخ المرأة المسلمة وجهادها في مختلف الميادين ، ودورها في بناء الحياة والإسهام في المواقف المتنوعة في أكثر من ميدان ، وأهمية ذلك في تربية الجيل المسلم .

وحين تدرسينا لأبطال هذه الأمة ، رجالاً ونساءً ، لا بد أن يكون ذلك شاملاً كل الميادين الانسانية : الفكرية والسياسية والاجتماعية والتعليمية والتربوية ، ولا بد أن يشمل كل المؤسسات العامة في التعليم وغيرها ، وأنظمة الحياة ، وإسهام المسلمين في كافة الاتجاهات ، ودورهم في بناء الحياة الفضلى وتعمير الأرض بالخير .

وإذا لم تيسر دراسة كل هذه الجوانب في مادة التاريخ الاسلامي ، لاسيما في الجامعة ، فبالامكان تنفيذ ذلك أو جزء منه بواسطة وضع أو تعميم مادة « الثقافة الاسلامية » على كافة سنوات الجامعة . ولا بد أن تبقى مادة التاريخ الاسلامي ولا سيما السيرة النبوية الشريفة أو جزء منها في جميع أنواع الدراسات الجامعية مهما كان ميدانها .

وبالنسبة لكليات العلوم البحتة يمكن أيضاً لكل منها دراسة التراث الاسلامي المماثل لمجال تخصصها ؛ ففي كلية الهندسة مثلاً يدرس تاريخ الهندسة ونظرياتها وتطوراتها عند المسلمين وأثر ذلك على الأمم الأخرى . وهكذا بالنسبة لكليات الزراعة والصيدلة والطب وغيرها .

وربما من المفيد أيضاً لتهيئة دراسات في مختلف الحقول جعل موضوعات للمسابقة من قبل الجامعة . وكذلك لأبأس بتشجيع طلبة الدراسات العليا وحثهم للعمل في موضوعات ذات أهمية بالغة ،

وأن تكون أطروحاتهم في موضوعات تتعلق بهذه الموضوعات التي
صرفنا اهتمامهم لها .

وعلىنا مساعدتهم على نشر إنتاجهم وترجمته إلى اللغة العربية
إن كان قد كتب أصلاً بلغات أخرى ، إضافة إلى تشجيع البحوث
عموماً بتقديم الجوائز العلمية التكريمية .



إن اهتمامنا بما سبق وتنفيذ ما نراه مفيداً وممكناً يعد خدمة
كبيرة لهذا التاريخ الاسلامي المشرق ، ولا تنحصر فائدته في المسلمين
بل تتعداهم إلى غيرهم ، والذين غلبت على نظرة أكثرهم الشبهات
والتشويهات التي أثارها أعداء الاسلام حين عرضوا له ولتاريخه
خاصة (١) ، سوف تتكشف لهم الحقيقة الناصعة ويروا مزايا هذا
الدين ومزايا تاريخه السامية الرفيعة (٢) .

فمن المهم إذاً أن يعرض التاريخ الاسلامي بخصائصه وحقائقه
على ضوء من طبيعته ، وطبيعة العقيدة التي صاغته ونتاجته . وإلا
فليس هو بتاريخ للاسلام .

**وبكتابة التاريخ الاسلامي وتدريسه في جوه الطبيعي نسهم في
إنشاء الجيل الذي يؤمن بالاسلام ويعتز بتاريخه . ويعمل على أن
يعيد الدور الذي كان للاسلام في هذه الأرض ، ويمكن للدعوة**

(١) قارن : الندوي ، الصراع بين الفكرة الاسلامية والفكرة
الغربية ص ١٧٦ - ١٨٩ .

(٢) محمد أسد ، الاسلام على مفترق الطرق ، ص ٥٤ ، ٦٠ .

الاسلامية فيها ، وينيرها ويعمرها بالخير والعدل ؛ كما عمرها سلفنا
الصالح رضوان الله عليهم على هدى رسولنا محمد ﷺ الذي تلقى
رسالة ربه عز وجل ، فاداءها كاملة ثم أدى أصحابه الامانة وسلموها
لن بعدهم ، وهكذا بقيت تنتقل من سلف إلى خلف ، وهي الآن
تنتظر من هو اهل لحملها .



وبعد : فهذه محاولة لإلقاء الضوء على تاريخنا الاسلامي
ودراسته وتدرسه أردنا بها كشف اللثام عن وجهه الحقيقي المشرق
وصورته النيرة الرائعة ، والرجاء كل الرجاء أن تثمر .

ومن الله عز وجل السداد .

وما توفيقي إلا بالله العلي الكبير .

المصادر

القرآن الكريم

ابن الأثير (عز الدين بن الأثير) ، **الكامل في التاريخ** بيروت ،
١٣٨٥/١٩٦٥ ، الجزء الثاني .

ابن الجوزي (أبو الفرج عبد الرحمن بن الجوزي) ، **سيرة عمر بن الخطاب** ، تحقيق طاهر النعسان الحموي وأحمد قدري
الكيلاني (ط . المكتبة التجارية) ، القاهرة ، ١٣٣١ هـ

ابن حجر العسقلاني . **فتح الباري بشرح البخاري** ، القاهرة
١٣٧٨/١٩٥٩ ، الجزء الثالث والسادس .

ابن حجر العسقلاني ، **الإصابة في تمييز الصحابة** ، القاهرة ١٣٣٢
الجزء الأول .

ابن حنبل (أحمد بن حنبل) **المسند** ، تحقيق أحمد محمد
شاكر القاهرة ، ١٣٦٩/١٩٥٠ ، الجزء السادس ،
ط . بيروت ، ١٣٨٩/١٩٦٩ ، الجزء الأول .

ابن خلدون (عبد الرحمن بن خلدون) **المقدمة** ، تحقيق الدكتور
علي عبد الواحد وافي ، القاهرة ، ١٩٦٥ الجزء الأول .

ابن سعد (محمد بن سعد) ، **الطبقات الكبرى** ، بيروت ،
١٣٧٧/١٩٥٧ ، الأجزاء : الثالث ، الرابع ، السابع

ابن كثير (ابو الفداء الحافظ ابن كثير) ، **البداية والنهاية** ، بيروت -
الرياض ، ١٩٦٦ ، الأجزاء : الثالث والرابع والسادس
والسابع .

ابن هشام ، **السيرة النبوية** ، تحقيق مصطفى السقا و ابراهيم
الآبياري وعبد الحفيظ شلبي ، القاهرة ، ١٣٧٥/١٩٥٥
مجلدان (أربعة أجزاء) .

أرنولد (سير توماس و . أرنولد)

الدعوة إلى الاسلام . ترجمة الدكتور حسن ابراهيم

حسن والدكتور عبد المجيد عابدين ، القاهرة ، ١٩٥٧

أسد (محمد أسد) ، **الاسلام على مفترق الطرق** ، ترجمة

الدكتور عمر فروخ ، بيروت ، ١٩٦٥

الألباني (محمد ناصر الدين الألباني) **حجة النبي ﷺ كما رواها**

عنه جابر رضي الله عنه ، دمشق ، ١٣٨٧

حسين (الدكتور محمد محمد حسين) ، **الاتجاهات الوطنية في**

الأدب المعاصر ، القاهرة ، ١٣٨٨/١٩٦٨ جزءان .

حسين (الدكتور محمد محمد حسين) **حصوننا مهددة من داخلها**

الكويت ١٣٨٨/١٩٦٨ .

حميد الله (جمع وتحقيق الدكتور محمد حميد الله) ، **مجموعة**

الوثائق السياسية للعهد النبوي والخلافة الراشدة ،

بيروت ، ١٣٨٩/١٩٦٩ .

حنبلي (فيصل حنبلي) ، (أهمية علم التاريخ) ، **مجلة البعث**

الاسلامي ، لكهنو (الهند) ، ذو القعدة ١٣٨٨ (فبراير

شباط) ١٩٦٩ ، المجلد ١٣ ، العدد الخامس .

خالدي وفرّوخ (الدكتور مصطفى خالدي والدكتور عمر فروخ)
التبشير والاستعمار ، صيدا بيروت ، ١٩٦٤ .

دويدار (امين دويدار) **صور من حياة الرسول** ، القاهرة (طبعة
دار المعارف) بدون تاريخ .

دينيه (اتين دينيه) وسليمان ابراهيم ، **محمد رسول الله** ،
ترجمة الدكتور عبد الحليم محمود والدكتور محمد
عبد الحليم محمود ، القاهرة ، ١٩٦٦ .

رستم (اسد رستم) **مصطلح التاريخ** ، بيروت ، بدون تاريخ .
الريس (الدكتور محمد ضياء الدين الريس) ، **النظريات السياسية
الاسلامية** ، القاهرة ، ١٩٦٦/١٩٦٧ .

الزركلي (خير الدين الزركلي) ، **الأعلام** ، القاهرة ، ١٩٥٤/١٣٧٣
الجزء الثاني .

السباعي (الدكتور مصطفى السباعي) ، **السنة ومكانتها في التشريع
الاسلامي** ، القاهرة ، ١٣٨٠/١٩٦١ .

السباعي (الدكتور مصطفى السباعي) ، **الاستشراق والمستشرقون
مالهم وما عليهم** ، الكويت ، ١٩٦٨ .

شاتليه (أ . ل شاتليه) **الفارة على العالم الاسلامي** ، ترجمة
وتلخيص محب الدين الخطيب ومساعد اليافي ،
جدة ، ١٣٨٧ .

شيت خطاب (محمود شيت خطاب) ، **قادة فتح المغرب العربي** ،
بيروت ، ١٩٦٦/١٣٨٦ .

الطَّبْرِي (أبو جعفر محمد بن جرير الطبري) ، **تاريخ الطبري
(تاريخ الرسل والملوك)** ، الأجزاء : ٢ - ٤ .

الطنطاوي (علي الطنطاوي) ، أبو بكر الصديق ، القاهرة ، ١٣٧٢ .
الطنطاوي (علي وناجي الطنطاوي) ، أخبار عمر ، دمشق ١٣٧٩ /
١٩٥٩ .

عاشور (الدكتور سعيد عبد الفتاح عاشور) المذنية الاسلامية
واثرها في الحضارة الأوروبية ، القاهرة ، ١٩٦٣ .

عبد الحميد (الدكتور عرفان عبد الحميد) ، (المستشرقون
والاسلام) ، مجلة الوعي الاسلامي (الكويت) ، السنة
الثانية (١٩٦٦) العدد ١٦ .

عثمان (حسن عثمان) ، منهج البحث التاريخي ، القاهرة ، ١٩٦٥
عثمان (فتحي عثمان) ، التاريخ الاسلامي والمذهب المادي في
التفسير ، الكويت ، ١٩٦٥ .

عرجون (صادق ابراهيم عرجون) ، خالد بن الوليد ، القاهرة ،
١٩٥٣/١٣٧٢ .

فروخ (الدكتور عمر فروخ) ، العرب والاسلام في الحوض الغربي
من البحر المتوسط ، بيروت ، ١٩٥٩/١٣٧٨ .

القرضاوي (يوسف القرضاوي) ، درس النكبة الثانية ، بيروت ،
١٩٦٩/١٣٨٨ .

قطب (سيد قطب) العدالة الاجتماعية في الاسلام ، بيروت ١٩٦٦
قطب (سيد قطب) معالم في الطريق ، بيروت ، ١٩٦٧ .

قطب (سيد قطب) في التاريخ فكرة ومنهاج ، بيروت ١٩٦٧ .

قطب (سيد قطب) في التاريخ فكرة ومنهاج ، بيروت ١٩٦٧ .
١٩٦٧ .

قطب (محمد قطب) ، معركة التقاليد ، بيروت ، ١٩٦٧ .

لويس (الدكتور برنارد لويس) ، **الغرب والشرق الأوسط** ، ترجمة
نبيل صبحي ، ١٩٦٥ .

المبرد (أبو العباس محمد المبرد) **الكامل** ، القاهرة ١٣٤٧ ، الجزء
الأول .

مسلم (أبو الحسين مسلم بن الحجاج النيسابوري) **صحيح مسلم** ،
تحقيق محمد فؤاد عبد الباقي ، القاهرة ١٣٧٤ / ١٩٥٥
الجزء الثاني .

المنجد (الدكتور صلاح الدين المنجد) **أعمدة النكبة** ، بيروت ،
١٩٦٨ .

المودودي (أبو الأعلى المودودي) **الجهاد في سبيل الله** ، بيروت ،
١٩٦٢ .

الندوي (أبو الحسن علي الحسيني الندوي) **ماذا خسر العالم**
بانهطاط المسلمين ، بيروت ، ١٩٦٥ .

الندوي (أبو الحسن علي الحسيني الندوي) **الصراع بين الفكرة**
الإسلامية والفكرة الغربية في الأقطار الإسلامية ، الكويت
١٩٦٥ / ١٣٨٨

الندوي (أبو الحسن علي الحسيني الندوي) ، **نحو التربية**
الإسلامية الحرة ، بيروت ، ١٩٦٩ / ١٣٨٨ .

النسائي (أبو عبد الرحمن أحمد بن دينار النسائي) **سنن النسائي**
بشرح جلال الدين السيوطي ، القاهرة ، ١٣٤٨ / ١٩٣٠
الجزء السادس .

النشار (الدكتور علي سامي النشار) ، **شهداء الإسلام في عهد**
النوبة ، بيروت ، ١٩٦٧ / ١٣٨٧ .

واط (مونتغمري واط) **محمد في مكة** ، تعريب شعبان بركات -
المكتبة العصرية ، صيدا بيروت بدون تاريخ .

للمؤلف

١ - تحقيق ودراسة لكتاب « الْمُقْتَبِس فِي أَخْبَار بِلَدِ الْأَنْدَلُس »
للمؤرخ الكبير ابن حَيَّان القُرْطُبِي (٣٧٧ - ٤٦٩ هـ) طبع
ضمن سلسلة « المكتبة الأندلسية » ، ١٩٦٥ ، رقم ٤ ، تصدرها
« دار الثقافة » في بيروت .

يتحدث هذا الجزء من « الْمُقْتَبِس » عن خمس سنوات (٣٦٠ -
٣٦٤ هـ / ٩٧٠ - ٩٧٤ م) من أيام الحَكَمِ الثَّانِي ، المستنصر بالله
(٣٥٠ - ٣٦٦ هـ / ٩٦١ - ٩٧٦ م) .

Critical edition of « AL-MUQTABIS FI AKHBAR
BALAD AL - ANDALUS » , by Ibn Hayyan
(d. 469/ 1076) , Beirut, 1965. This volume, of
« AL - MUQTABIS » , descusses almost five years
(360 - 4 / 970 - 4) of the Riegn of al - Hakam II
(350 - 66/996 - 76) .

٢ - تحقيق ودراسة للنص الجغرافي المتعلق بالأندلس وأوروبا من
كتاب « المسالك والممالك » تأليف الجغرافي الأندلسي الكبير أبو عبيد
البكري ، (عبد الله بن عبد العزيز) ، (٤٠٥ - ٤٨٧ هـ) .

ظهر هذا النص تحت عنوان « جغرافية الأندلس وأوروبا » في بيروت .

١٣٨٧ / ١٩٦٨ . قامت بنشره دار الإرشاد « للطباعة والنشر والتوزيع » ، بيروت .

Critical edition of « THE GEOGRAPHY OF AL - ANDALUS AND EUROPE », from the Book « AL - MASALIK WAL - MAMALIK » by Abu Ubayd al - Bakri (d. 487 / 1094).

٣ - أنندالسيَّات (المجموعة الأولى) ، بيروت (دار الإرشاد)
١٣٨٨ / ١٩٦٩ . ويضم بحثاً ومقالات معظمها في التاريخ الأندلسي .

٤ - أنندالسيَّاب (المجموعة الثانية) ، بيروت (دار الإرشاد) ،
١٣٨٩ / ١٩٦٩ .

٥ - نظرات في دراسة التاريخ الإسلامي ، بيروت (دار الإرشاد) .
١٣٨٩ / ١٩٦٩ . ويماد طبعه الآن (رمضان ١٣٩٥) .

٦ - الحضارة الإسلامية في الأندلس ، بيروت (دار الإرشاد)
١٣٨٩ / ١٩٦٩ .

٧ - تاريخ الموسيقى الأندلسية . بيروت (دار الإرشاد) .
١٣٨٩ / ١٩٦٩ .

٨ - أطروحة الدكتوراه ، باللغة الانجليزية :

ANDALUSIAN DIPLOMAIC RELATIONS WITH
WESTERN EUROPE DURING THE Umayyad
PERIOD, Beirut, 1390/1970.

٩ - بحث بالانجليزية (من الأطروحة ، ص ٩٩ - ١١٥ ،
بتصرف) :

“ Political Relations between the Andalusian rebels and Christian Spain during the Umayyad Period”, THE ISLAMIC QUARTERLY (Published by • The Islamic Cultural Centre •, Regnt's Lodge, 146 park Road, London N. W. 8, England.) Vol. X, Nos. 3 and 4, 1386/ 1966.:

نشر بالعربية ضمن المجموعة الثانية من أندلسيات .

١٠ - بحث بالانجليزية :

“Intemarrriage Between Andalusia and Northern Spain in the Umayyad periob”, THE ISLAMIC QUARTERLY, Vol. XI, Nos. 1 —2, 1387 / 1967.

نشر بالعربية ضمن المجموعة الأولى من أندلسيات .

١١ - نقد ، باللغة الانجليزية ، لكتاب :

Review :

W. Montgomery Watt : A HISTORY OF ISLAMIC SPAIN (Islamic Survys 4), E. U. P., 1965, In • THE ISLAMIC QUARTERLY, Vol. X, Nos. 3 - 4, 1386/1966.

نشر (النقد) باللغة العربية ضمن المجموعة الأولى من أندلسيات .

١٢ - بحث بالانجليزية (من الأطروحة ، ص ٢٧٢ - ٨١ ،
بتصرف) !

“ Two Unknown Embassies from a Frankish Monarch to the Court of Cordoba during the reign

of Al-Hakam II", THE ISLAMIC QUARTERLY,
Vol. X, Nos. 1 - 2, 1386/1966.

نشر بالعربية ضمن المجموعة الثانية من أندلسيات .

١٣ - بحث بالانجليزية (من الأطروحة ، ص ٣٩ - ٥٤ ،
بتصرف) :

"Christian States in Northern Spain during the
Umayyad period ", THE ISLAMIC QUARTERLY,
Vol. IX, Nos. 1 - 2, 1385 / 1965.

نشر بالعربية ضمن المجموعة الثانية من أندلسيات .

١٤ - بحث باللغة الانجليزية عن الرحالة الأندلسي : ابراهيم بن
يعقوب الإسرائيلي الطبرطوشي (من الأطروحة ، ص ٢٢٩ -
٣٧ ، بتصرف) :

"Ibrahim Ibn Ya' qub at - Turtùshi, Andalusian
traveller", ISLAMIC CULTURE (published by
the Islamic Culture Board, Hyderabad - Deccan,
India.) Vol. XL, No. 1, Jan. 1966.

١٥ - بحث بالانجليزية يتناول جانباً آخر من شخصية الرحالة الأندلسي
(ابراهيم بن يعقوب الإسرائيلي الطبرطوشي) :

"At - Turtushi The Andalusian traveller, and his
meeting with Pope John XII", THE ISLAMIC
QUARTERLY, Vol. XI, Nos. 3 - 4 , 1387 / 1967.

نشر باللغة الإيطالية في مجلة :

RIVISTA STORICA ITALIANA, NAPOLI, ANNO
LXXIX, FASC. 1, 1967, PP. 164 - 73.

١٦ - بحث بالانجليزية (من الأطروحة ، ١٥٥ - ٢٠٣ ،
بتصرف) :

"The Andalusian Diplomatic Relations with the Vikings during the Umayyad period", HESPÉRIS-TAMUDA (Rabat, Morocco), Vol. III 1967.

١٧ - بحث بالانجليزية (من الأطروحة ، ص ١٤٠ - ١٥٢ ،
بتصرف) :

"Political Relations of Andalusian rebels with the Franks during the Umayyad period", THE ISLAMIC QUARTERLIY, Vol. XII, Nos. 1 - 2, 1388/1968.

١٨ - بحث بالانجليزية (من الأطروحة ، ص ٢٨٣ - ٨ ،
بتصرف) .

"Diplomatic Relations Between Andalusia And Italy during the Umayyad Period", THE ISLAMIC QUARTERLIY, Vol. XII, No. 3, 1388 / 1968.

'نشر باللغة الإيطالية في نفس العدد من المجلة التاريخية الإيطالية
(p.p. 158 - 64) المشار إليها في رقم ١٥ من هذه القائمة .

١٩ - بحث « القضاء ودراسته في الأندلس » ، نشر في العدد الأول (١٣٩٢ هـ - ١٩٧٢ م) من مجلة كلية الإمام الأعظم (بغداد) .

٢٠ - بحث « الكتب والمكتبات في الأندلس » ، نشر في العدد الرابع (١٣٩٢ هـ - ١٩٧٢ م) من مجلة كلية الدراسات الإسلامية (بغداد) .

٢١ - بحث « حول التراث والحضارة » نشر في العدد الخامس (١٣٩٣ هـ - ١٩٧٣ م) من مجلة كلية الدراسات الإسلامية (بغداد).

٢٢ - التاريخ الأندلسي ، من الفتح الإسلامي إلى سقوط غرناطة . صدر عن دار القلم (دمشق) ١٩٧٦ . كتاب جامعي يشمل كل تاريخ الأندلس السياسي خلال ثمان مئة عام ويقع في ٦٠٠ صفحة ، مزود بالخرائط والصور والإيضاحات الأخرى .

٢٣ - « العلاقات الدبلوماسية بين الأندلس وبيزنطة حتى نهاية القرن الرابع الهجري » .

كان الانتهاء من كتابته في رمضان - شوال ، ١٣٩٢ هـ (تشرين ١ - ٢ ، ١٩٧٢ م) كتب بطلب من لجنة تكريم الأستاذ أبي الأعلى المودودي ليكون في كتاب يظهر بمناسبة بلوغه سن السبعين .

٢٤ - « ابن زيدون السفير الوسيط » بحث كتب ليلقى في الاحتفال الألفي لولادة ابن زيدون (٣٩٤ - ٤٦٣ هـ) .

٢٥ - جوانب من الحضارة الإسلامية . رسالة صغيرة صدرت عن دار القلم ١٩٧٩ م .

